

إدلة المادية



فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى

أخبار اليوم

رئيس مجلس الإدارة : إبراهيم سعدة

تصميم الغلاف : خالد عبد الرازق

الفصل الأول :

أسباب الوجود

الله سبحانه وتعالى وضع في كونه

كله آيات تنطق بوجوده ، وتنطق

بعظمته ، وتنطق بـأنه هو

الخالق .. الجبار يشهد أن لا

إله إلا الله .. والنبات يشهد أن لا

إله إلا الله .. والحيوان يشهد أن

لا إله إلا الله .. والإنسان يشهد

أن لا إله إلا الله .. وكل هذا يشهد

بأدلة ناطقة لا تحتاج حتى إلى

مجرد البحث والتفكير والعمق.

ولقد خاطب الله سبحانه وتعالى كل العقول في كل الأزمان ، فجعل هذه الأدلة التي تنطق بوجوده من أول الخلق .. ثم كلما تقدم الإنسان ، وارتقت الحضارة .. وكشف الله من علمه ما يشاء لمن يشاء .. ازدادت القضية رسوخاً وازدادت الآيات وضوحاً .. ذلك أن الله شاء عدله أن يخاطب كل العقول .. فجاءت آيات الله في الكون الناطقة بألوهيته وحده ليفهمها العقل البسيط ، والعقل المرتقى في الكون .. ولا اعتقد أن أحداً يستطيع أن يجادل في هذه الأدلة ولا أن ينكر وجودها .

ولقد أوجد الله سبحانه وتعالى في هذا الكون أدلة مادية وأدلة عقلية وأدلة نصل إليها بالحواس .. كلها تنطق بوحدانية الله وجوده .

ولقد جعل الله الأداة الأولى لإدراك وجوده هي العقل .. العقل هو الذي يدرك وجود الله .. بالدليل العقلي الذي وضعه الخالق في الكون .. ولكن مهمة العقل بالنسبة لهذا الوجود محدودة .. ذلك أننا بالعقل ندرك أن هناك خالقاً مبدعاً قادراً .. ولكننا بالعقل لا نستطيع أن ندرك ماذا يريد الخالق منا .. وكيف نعبده .. وكيف نشكره .. وماذا أعد لنا من جزاء .. يثيب به من أطاعه ، ويعاقب به من عصاه .. فهذا كله فوق قدرة العقل .

ولذلك كان لابد أن يرسل الله الرسل ليبلغونا عن الله .. لماذا خلق الله هذا الكون .. ولماذا خلقنا .. وما هو منهج الحياة الذي رسمه لنا لنتبعه .. وماذا أعد لنا من ثواب وعقاب ؟ . فتلك مهمة فوق قدرات عقولنا ، وتلك مهمة لو استخدمنا فيها العقل لما وصلنا إلى شيء .

وجاء الرسل ومعهم المعجزات من الله بصدق رسالاتهم ومعهم المنهج .. وقاموا بإبلاغ الناس .. ولكننا لن نتمدث هنا عن معجزات الرسل .. وما جاءوا به .. وإن نتكلم عن أي شيء غيبى .

ولكننا سنتحدث عن الماديات وحدها .. ونتكلم عن الأدلة المادية ، بما فيها تلك الأدلة التي نريها فتجعلنا نوقن أن الغيب موجود .. وأن ما لا نراه يعيش حولنا .. كل هذا بالعقل وليس بالإيمان .
 قاله سبحانه وتعالى وضع الدليل الإيمانى فى الكون كما وضع الدليل العقلى .. ولكننا سنحتكم للعقل وحده .. ليرى الناس جميعاً أن الاحتكام للعقل يعطينا آلاف الأدلة .
 هذه الأدلة هى من آيات الله ، وكلها تشهد أنه لا إله إلا الله ..

الوجود .. والإنسان

وإذا أردنا أن نبدأ بالأدلة المادية فلابد أن نبدأ بالخلق .. ذلك الدليل الذى نراه جميعاً أمام أعيننا ليلاً ونهاراً .. وتلمسه لأننا نعيشه .. فالبداية فى أن هذا الكون بكل ما فيه قد وجد أولاً قبل أن يخلق الإنسان .. وتلك قضية لا يستطيع أحد أن يجادل فيها .. فلا أحد يستطيع أن يقول إن خلق السموات والأرض تم بعد خلق الإنسان .. بمعنى أن الإنسان جاء ولم تكن هناك أرض يعيش عليها .. ولا شمس تشرق .. ولا ليل ولا نهار .. ولا هواء يتنفسه .. بل إن الإنسان جاء وكل شيء قد أعد له قبل أن يأتى ، وقبل أن يوجد ، وليس فقط أن كل شيء قد أعد له .. بل إن هناك أشياء أكبر من قدرة الإنسان خلقت وسخرت لتخدمه وتعطيه كل متطلبات الحياة بدون مقابل .. وأشياء أخرى خلقت وسخرت للإنسان تعطيه ما يشاء ولكنها محتاجة الى جهد الإنسان وعمله ، وذلك حتى تتم عمارة الأرض .
 إذن فباستخدام العقل وحده لا أحد يستطيع أن يجادل فى أن هذا الكون قد خلق وأعد لحياة الإنسان قبل أن يخلق الإنسان نفسه .. فإذا

جاء الحق سبحانه وتعالى وقال لنا :

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ٢٩ ﴾

(الآية ٢٩ من سورة البقرة)

لا يستطيع أحد أن يجادل عقلياً في هذه القضية .. لأن الكون تم خلقه قبل خلق الإنسان .. فكيف يكون للإنسان عمل قبل أن يوجد ويخلق ؟
وتأتى الآية الكريمة :

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ٣٠ ﴾

(من الآية ٣٠ من سورة البقرة)

نقول: إن هذا يؤكد الحقيقة بأن الكون أُنْشِئَ للإنسان قبل أن يخلق .. وهذه قضية يؤكدها العقل .. ولا يستطيع أن يجادل فيها .
وبذلك تكون قد وصلنا إلى النقطة الأُولى ، وهى أن الله سبحانه وتعالى بكمال صفاته وقدراته قد خلق هذا الكون وأوجده ونظمه غير مستعين بأحد من خلقه .. ولا محتاج لأحد من عباده .. وأنتا نحن جميعاً - أى البشر - قد جئنا إلى كون معد لنا إعداداً كاملاً .

ولكن قدرة هذا الكون لا تخضع لنا ولا لقدراتنا .. بل هى أكبر من هذه القدرات بكثير . فالشمس مثلاً أقوى من قدرة البشر جميعاً .. وكذلك الأرض والبحار والجبال .. إذن فلا بد أن تكون هذه الأشياء قد أخضعت لنا بقدرة من خلقها وليس بقدرتنا نحن .. ذلك أنها مسخرة لنا لا تستطيع أن تعصى أمراً .. فلا الشمس تستطيع أن تشرق يوماً وتغيب يوماً حسب هواها لتعطي الدفء ووسائل استمرار الحياة لمن تريد .. وتمنعه عمن تشاء .. ولا الهواء يستطيع أن يهب يوماً ويتوقف يوماً .. ولا المطر

يستطيع أن يتمتع عن الأرض فتتعدم الحياة ويهلك الناس .. ولا الأرض تستطيع أن تمتنع عن إنبات الزرع .. لا شيء من هذا يمكن أن يحدث .. ولا تستطيع البشرية كلها أن تدعى أن لها دخلاً في مهمة هذا الكون .. لأنه لا خلق هذه الأشياء ولا استمرارها في عطاياها يخضع لإرادة البشر. فإذا جئنا إلى الإنسان وجدناه هو الآخر لابد أن يشهد بأن له خالقاً وموجوداً .. فلا يوجد من يستطيع أن يدعى أنه خلق إنساناً .. ولا من يستطيع أن يدعى أنه خلق نفسه.

قضية الخلق محسومة

إذن فقضية الخلق محسومة لله سبحانه وتعالى لا يقبل فيها جدل على .. فإذا جاء بعض الناس وقالوا: إن هذا الكون خلق بالمصادفة .. نقول: إن المصادفة لا تنشئ نظاماً دقيقاً كنظام الكون .. لا يخلت رغم مرور ملايين السنين.

وإذا جاء بعض العلماء ليدعى أنه كانت هناك ذرات ساكنة ثم تحركت وتكثفت واتحدت .. نقول من الذي أوجد هذه الذرات .. ومن الذي حركها من السكون ؟ وإذا قيل إن الحياة بدأت بخلية واحدة في الماء نتيجة تفاعلات كيميائية .. نقول من الذي أوجد هذه التفاعلات لتصنع هذه الخلية؟

ونحن لن ندخل مع هؤلاء في جدل عقيم .. وإنما نقول لهم: إن من إعجاز الخالق .. أنه أنبأنا بمجيئهم قبل أن يأتوا .. وأنبأنا أكثر من ذلك أن هؤلاء يضلون .. أي ليسوا على حق ، ولكنهم على ضلال .. وفي ذلك يقرب الحق سبحانه وتعالى:

﴿ مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ وَمَا كُنْتُ
مُسَخِّدَ الْمُضِلِّينَ عَصُدًا ﴾

(من الآية ٥١ من سورة الكهف)

وهكذا نرى من يأتى ليضل الناس بنظريات كاذبة عن أصل خلق السموات والأرض .. وأصل خلق الإنسان .. ومن يدعى أن أصل الإنسان قرد .. وهى نظرية يملؤها الغباء .. فنحن لم نشهد قرداً تحول لإنسان .. وإذا كان أصل الإنسان قرداً .. فلماذا بقيت القروء على حالها حتى الآن ولم تتحول إلى بشر ؟! ومن الذى منعها أن يحدث لها هذا التحول ما دام قد حدث فى الماضى ؟! ولقد نسى هؤلاء أن الوجود لا بد أن يكون من ذكر وأنثى وإلا انقرض النوع .. وهؤلاء لم يقولوا لنا عندما ادعوا أن قرداً تحول إلى إنسان .. من أين جاء القرد الذى تحول إلى امرأة ليتم التكاثر ..

ويكون الدخول فى جدل لا يفيد .. نقول لهؤلاء جميعاً: لقد جئتم مثبتين للإيمان ومثبتين لكلام الله .. فلو أنه لم يأت من يضل بنظريات كاذبة فى خلق السموات والأرض وفى خلق الإنسان .. لقلنا: إن الله سبحانه وتعالى قد أخبرنا فى القرآن الكريم .. أنه سيأتى من يضل فى خلق السموات والأرض وفى خلق الإنسان ، ولكن لم يأت أحد يفعل ذلك .. ولكن كونهم جاءوا وكونهم أضلوا .. يجعلنا نقول : سبحانه ربنا .. لقد أخبرنا عن المضلين وجاءوا فعلاً بعد قرون كثيرة من نزول القرآن .. فكان هؤلاء الذين جاءوا ليحاربوا قضية الإيمان .. قد اثبتوها وأقاموا الدليل عليها .

على أننا نقول لكل من جاء يتحدث عن خلق السموات والأرض وخلق الإنسان مدعياً أن الله ليس هو الخالق .. نقول له: أشهدت الخلق ؟ .. فإذا قال: لا .. نسأله : فقيم تجادل ؟

على أن قضية الخلق محسومة لله سبحانه وتعالى لأنه هو وحده سبحانه الذي قال إنه خلق .. ولم يأت أحد ولن يجروا أحد على أن يدعى أنه الخالق ..

وإذا كان من يفعل شيئاً يحرص على الإعلان عما فعل .. فلا يوجد شئ صغير اخترعه البشر في الدنيا .. إلا وحرص صاحبه على الإعلان عن نفسه .

الله وحده الخالق

فإذا كان ذلك الذي اخترع المصباح قد حرص على أن يعرف العالم كله اسمه وتاريخه وقصة اختراعه .. أيكون الذي أوجد الشمس غافلاً عن أن يخبرنا أنه هو الذي خلقها .. وإذا كانت هناك قوة أخرى قد أوجدت أفلا تعلن عن نفسها ؟

إذن فقضية الخلق محسومة لله سبحانه وتعالى .. لأنه وحده سبحانه الذي قال إنه خلق .. حتى يأتي من يدعى الخلق .. ولن يأتي .. فإن الله سبحانه هو وحده الخالق بلا جدال .. وحتى الكفار لم يستطيعوا أن يجادلوا في هذه القضية .. ولذلك يأتي القرآن في سورة العنكبوت فيقول :

﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾

(الاية ٦١ من سورة العنكبوت)

ثم يقول الحق ببرك وتعالى

﴿وَلَيْنَسْأَلَهُمْ مِّنْ نَّذْلٍ مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لِيَقُولَنَّ اللَّهُ﴾

(جزء من الآية ٦٣ من سورة العنكبوت)

وهذه الآيات نزلت في الكافرين والمشركين وهم رغم كفرهم وإشراكهم لم يستطيعوا أن يحادلوا في خلق الكون والإنس
إن ففضلة، الحق محسومة لله لأنه سبحانه وتعالى هو الذي خلق
وهو الذي أخبرنا بأنه هو الذي خلق

ولكن القضية لا تقف عند الكون وحده بل تمتد إلى كل ما في
الديار، حتى تلك الأشياء التي يقدر عليها لإنسان فأصل الوجود كله
بكل ما فيه من خلق الله سبحانه وتعالى والله سبحانه وتعالى يقول

﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ
فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾

(الآية ١٠٢ من سورة الأنعام)

ومادام الحق سبحانه وتعالى قد قال أنه (خالق كل شيء) فما من
شيء في هذا الوجود إلا هو خالقه

ولنأخذ هذه القضية في كم م حواك في كل ما في هذا الكون
لنأخذ مثلاً احشـ شجرة الخشب التي تعطينا كل لأخشـ التي
نستعمل في بيوتنا وأثاث إلى غير ذلك هذه الشجرة من أين جاءت ؟
تسأل تاجر الخشب من أين جاءت ؟ يقول من السريد وتسأل أهل
السويد يقولون من الغابة وتذهب إلى العابة فيقولون لك من شتلات

نعدّها . وتسال من أين جاءت هذه الشتلات ؟ من جيل سابق من الأشجار . ولجيل السابق من جيل سبقه . وتطل تمضي حتى تصل إلى الشجرة لأولى التي أخذ منها هذا كله . من الذى أوجد الشجرة الأولى ؟ به الله . فلا أحد يستطيع أن يدعى أنه خلق الشجرة لأولى أو أوجدها من عدم .

فإذا انتقلنا إلى باقى أنواع الررع لنبحث عن التفاحة الأولى والبرتقالة الأولى . والتمرة الأولى . وحب القمح لأولى . وشجرة القطن الأولى . نحد أنها وغيره من كل ما تنتحه لأرض كلها من خلق الله خلقاً مباشراً . ثم بعد ذلك استمر وجوده بالأسباب التى خلقها الله فى الكون . قد يقال إن هناك تهجيناً وتحسيناً وحللاً بين الأنواع لتنتج نوعاً أكثر جودة . نقول إن هذا كله لا ينفى أن لشجرة الأولى مخلوقة خلقاً مباشراً من الله . وقد يدعى بعض العلماء أنهم حسّنوا أو استنبطوا أنواعاً جديدة . نقول لهم كل هذا لا ينفى أن لوجود الأولى من الله وأنهم استخدموا ما خلق الله بالعلم المتاح من الله فى كل ما فعلوه . ولكن أحداً لا يستطيع أن يدعى أنه أوجد أى شئ فى الأرض من عدم . فكل هذه الاكتشافات العلمية هى من موجود . ولا يوجد اكتشاف علمى واحد من عدم .

وإذا انتقلنا من النبات إلى الحيوان نجد أن كل الحيوانات والطيور والحشرات بدأت بخلق من الله سبحانه وتعالى . وبخلق من ذكر وأنثى وهذه هى بداية الخلق جميعاً . ولا يستطيع أحد أن يدعى أنه خلق من عدم ذكراً وأنثى من أى نوع من النبات أو الحيوان . والله سبحانه وتعالى يلعننا فى القرآن الكريم فيقول

﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (١٩)

(من الآية ٤٩ من سورة الأنعام)

الله يتحدى علماء الدنيا

إننا نريدهم ونحن نتحدى علماء الدنيا كلها أن يأتي عالم فيقول
لما إنه أوجد من عدم أو أنه خلق دكرًا وأنثى من أي شيء موجود في
هذا الكون وما أكثر الموحودات في كون الله وهنا تأتي الحقيقة
القرآنية تتحدى في قوله تعالى

﴿يَأْتِيهَا آبٌ مِنْ صُرْبٍ مِثْلٍ فَأَسْتَمِعُوا لَهَا إِنْ الْيَدَيْنِ مَدْعُوتٌ
مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ
شَيْئًا لَا يَسْتَفِيدُوا مِنْهُ شَيْئًا يَأْتِيهِمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَئِنْ سَأَلْتُمْ لَهُمْ
الْغُلُوبَ وَالْمَطْلُوبَ﴾ (٧٢)

(الآية ٧٢ من سورة الحج)

هذا هو التحدي لإلهي الذي سيهيئ هائماً حتى يوم القيامة فلن
يستطيع علماء الدنيا ولو اجتمعوا أن يخلقوا ذبابة
ولقد وصل الإنسان إلى القمر ، وقد يصل إلى المريخ ، وقد يتجاوز ذلك
ولكنه سيحل عاجزاً عن خلق ذبابة مهما كشف الله له من العلم فلن
يعطيه لقدرة على خلق ذبابة وهذا من إعجاز الله لأنه وحده الذي
خلق كل شيء ، ولعلم ككشف لقدرات الله في الأرض ، ولكنه ليس موجداً
لشيء ولذلك يقول القرآن الكريم

﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ
فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (١٦)

(من الآية ١٠٢ من سورة الأنعام)

بهذا نكون قد أثبتنا بالدليل العقلي أن الله خالق كل شيء في الدنيا
فإدراكه كان الله قد حقق من هم من دور الإنسان من بيت وحماد وحيون
فكيف بالإنسان بما له من دركات وعقود وفكر وتمييز سنتحدث عنه
تفصيلاً في فصل قادم ولذلك يقول الله سبحانه وتعالى

﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ (٢٥)

(الآية ٢٥ من سورة الطور)

وبدا كان كل شيء على هذا لكون من خلق الله سبحانه وتعالى فمن
قوانين الكون أيضاً تلك لقوانين التي يسير عليها الكون هي من وضع
الله سبحانه وتعالى إلا ما شاء الله أن يجعل للإنسان فيه اختييراً
فالقوانين التي يمضي عليها الكون هي من وضع الله والأسباب التي تتم
بها الأشياء هي من وضع الله فالشمس والقمر والنجوم والأرض لا تتع
قوانين البشر بل تتبع القوانين الإلهي ولدي خلقه وضع لها القوانين
لأمثل لتؤدي مهمتها هي لكون

فالشمس لها حركة كوكبية ولها تحرك خروبي فلك خلقه الله لها
وكذلك القمر، وكذلك الأرض وكذلك الرياح وكذلك النجوم ولذلك يقول
الحق سبحانه وتعالى

﴿الرَّحْمَنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝
عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝
وَالنَّجْمُ ۝ وَالشَّجَرُ سَجْدَانِ ۝ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ۝

(الآيات من ١ إلى ٧ من سورة الرحمن)

إذن الشمس والقمر والنجوم تتحرك بحسب دقيق فلا تتأخر الشمس

عن موعد شروقها ثانية ولا تتقدم ثانية منذ ملايين السنين.. وكذلك القمر في دورته الشهرية، وكذلك لنجوم في حركتها ثم يقول الحق سبحانه وتعالى

﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾

(الآية ٤٠ من سورة يس)

أي أن كل هذه الأجرام لها فلك معين أو مسار معين تمضي فيه بإذن الله ولا تستطيع البشرية كلها أن تؤخر شروق الشمس ثانية، أو أن تقدمها ثانية أو أن توقف دوران الأرض أو تسرع بها أو تبصره إلى غير ذلك

إذن فثبات قوانين كون دليل على دقة الخالق وإيداعه وعظمته وقدرته وهذا مالا يستطيع أحد أن ينكره.

الثابت والمتغير

يأتى الملاسمة يقولون: إن الثبات وحده لا يعطى القدرة الكاملة للحق سبحانه وتعالى ذلك أن الإله بقدرته لا بد أن يستطيع أن يخرج عن ميكانيكيته وذلك هو دوام القدرة أو طلاقة القدرة.. أما بقاء الثبات على ثباته فإن ذلك قد يعطى الدليل على دقة القدرة وإبداع الخالق ولكنه لا يعطي الدليل على طلاقة القدرة

نقول إن الله قد أعطى في كونه الدليل على صلاحة القدرة ولكنه لم يعطه في القوامين لكونية لأنه لو أعطاه في القوانين الكونية فأشرقت

الشمس يوماً ، وغابت يوماً ، ودورت الأرض ساعات وتوقفت ساعات وتغير مسير النجوم لفسد الكون ، إذن فعن كمال الحلق أن تكون القوانين الكونية بالنسبة للنظم الأساسى للكون ثابتة لا تتغير ، وإلا ضاع النظام ، وضاع معه الكون كله فلا يقول أحد ، إن ثبات النظام لكونى يحمل معه الدليل على عدم طلاقة القدرة بل هو يحمل لدليل على طلاقة القدرة التى تبقى هذا النظام ليصلح الكون

والله سبحانه وتعالى لا يريد كوناً فاسداً فى نظامه ولكنه يريد كوناً يتناسب مع عظمة الخالق وقدرته وبداعه فبقى بطلاقة قدرته الثبات فى قوانين هذا الكون ويظهر بطلاقة قدرته أنه قادر على أن يغير ، ويخرق ، ويوأميس به لا يفسد الحياة فى الكون ولكن به يلفت حلقه إلى طلاقة قدرته .

ولنتحدث قليلاً عن طلاقة قدرة الله فى كونه أول مظاهر طلاقة القدرة فى المعجزات التى أيد بها الله رسوله وأنبياءه ولكن لن نتحدث عنها هنا فنحن مع عقل واحد لنؤكد بالدليل العقلى أن كل ما فى هذا الكون يؤكد أنه لا إله إلا الله وأنه هو خالق الموجودات نأتى إلى الأشياء التى تنطق بطلاقة لقدرة وهى فى كل شئ وإد حار لنا أن نبدأ بالإنسان فإننا نبدأ بميلاد الإنسان أولاً الإنسان ككل شئ فى هذا الكون يوجد من ذكر وأنثى فإذا حتمت الذكر والأنثى جاء الولد وهذا هو قانون الأسباب فسأى الله سبحانه وتعالى ويلتقى الذكر والأنثى ولا يأتى الولد مصداقاً لقوله سبحانه وتعالى

﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِحَقِّ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ
 إِنِثَاءً وَنَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ ذَكَرًا وَإِثْأً
 وَبَعَثَ لِمَنْ يَشَاءُ عَاقِبَةً إِنَّكُمْ عِلْمُ قَدِيرٍ ﴿٥٠﴾﴾

(الآيتان ٤٩ و ٥٠ من سورة الشورى)

إذن الله سبحانه وتعالى جعل فى قوانين ، لأسباب أنه متى تزوج الذكر والأنثى يأتى الولد ولكن أبقى لنفسه سبحانه طلاقة القدرة فجعل هناك ذكراً وأنثى يتزوجان أعموماً طوية ولا يبرقان بالولد فمع قوانين ، لأسباب كانت هناك طلاقة القدرة ولم يجعلها الله سبحانه وتعالى عامة بل جعلها فى أمثلة قليلة لتلفتنا إلى طلاقة قدرته حتى لا نحسب أننا نعيش بالأسباب وحدها

طلاقة القدرة فى الكون ..

ولم نقف طلاقة قدرة الله فى خلق الإنسان عند هذا الحد بل امتدت لتشمل كل أوجه ، الخلق فالأصل فى إيجاد من ذكر وأنثى ، ولكن الله سبحانه وتعالى بطلاقة قدرته خلق إنساناً بدون ذكر أو أنثى وهو آدم عليه السلام وخلق من ذكر بدون أنثى وهى حواء خلقها من ضلع من آدم عليه السلام ، وخلق إنساناً من أنثى بدون ذكر وهو عيسى عليه السلام وهذه كلها حدثت مرة واحدة لإثبات طلاقة القدرة وهى لا تتكرر لأنها تلفتت إلى طلاقة قدرة الله سبحانه وتعالى وأنه ليس على قدرته قيود ولا حدود فهو حل جلاله حائق الأسباب وقدرته تبارك وتعالى فوق الأسباب على أن هناك أشياء كثيرة عن طلاقة قدرة الله بالسبب للإنسان سنتحدث عنها تفصيلاً فى فصل قادم

نأتى إلى طلاقة قدرة الله تعالى فى ظوهر الكون لو أخذنا لمطر مثلاً الله سبحانه وتعالى بأسباب كونه جعل مناطق ممطرة فى الكون ومناطق لا ينزل فيها المطر والعناء كشف الله لهم من علمه ما جعلهم يضعون خريطة للأسباب تحدد لمناطق الممطرة وغير الممطرة .

ينأتى الله سبحانه وتعالى فى لفنة إلى صلابة قدرته فتجد المناطق الممطرة لا تنزل عليها قطرة ماء وتصاب بالحدب ، ويهت الررع والحيوان ، وقد يموت لإنسان عطشاً . بالرغم من أن هذه المناطق كن المطر ينزل فيها وربما سار فى أنهار يروى غير من البلاد لتي لا ينزل فيها لمطر فتجد مثلاً منابع النيل لتي هى مناطق غريرة المطر تأتى فيها سوات جذب فلا يجد الدس الماء .. ونجد بلاداً كالولايات لمتحدة وبلاد أوربا يصيبها الجذب فى سنوات ولا يحدث هذا بشكل مستمر بل فى سنوات متباعدة لو أن هذا لمطر ينزل لأسباب وحدها ما وقع هذا لجذب فى المناطق غريرة لمطر ولكن الله يريد أن يلفتنا إلى طلاقة قدرته وإلى أن الماء الذى ينزل من السماء ليس خاصعاً للأسباب وحدها .. ولكن لذى يحكمه هو طلاقة قدرة الله حتى لا نعتقد أننا أخذنا الدين ومكناها بالأسباب ولكنى نعرف أن هناك طلاقة لقدرة الله سبحانه وتعالى هى التى تعطى وتمنع وأنه حل جلاله فوق الأسباب وهو سبحانه لمسبب يعير ويبدل كما يشاء .

فإذا جئنا إلى الررع ، ذلك لذى فيه عمن للإنسان .. نجد مظاهر طلاقة القدرة فالإنسان يررع الزرع والله يعطيه كل الأسباب .. الماء موجود والكيمويات متوافرة والأرض جيدة ثم بعد ذلك تأتى افة لا يعرف أحد عنها شيئاً ، ولا يحسب حسانها ، فتقصى على هذا الررع

تماماً .. وفى ذلك يقول الحق سبحانه وتعالى

﴿ وَأُحِيطَ بِشَمْرِهِ ، فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَشَقَّ فِيهَا وَهُى حَاوِيَةٌ
عَلَى عُرْوَتِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٤٤﴾ ﴾

(الآية ٤٢ من سورة الكهف)

ونحن نعرف أن الآفات تصيب كل مكان في الأرض لا يعلو عليها علم
مهما بلغ وهكذا حتى نعرف أن الأرض لا تعطيت الثمر بالأسباب
وحده ، ولكن بقدرة الله سبحانه وتعالى التي هي فوق الأسباب لكيلا
تعد ، لأسباب وتنسى المسبب وهو الله سبحانه وتعالى

فإذا استقلنا إلى الحيوان نجد طلاقة القدرة واضحة فهناك من
الحيوان ما تزيد قوته على الإنسان مرت ومرت ولكن الله سبحانه
وتعالى قد أحضعه ودله للإنسان فنجد الصبي الصغير يقود لجمال أو
لحصان ويضربه والجمال مثلاً يستطيع بضربة قدم واحدة أن يقضى
على هذا الطفل ولكنه لا يفعل شيئاً ويمضى دليلاً مصيلاً ولا يرد على
الإيذ ، رغم قدرته على ذلك ويجد الكلب مثلاً يحرس صاحبه ويدافع عنه
لأن الله ذلله له

فإذا حننا إلى الذئب أو الثعلب من نفس فصيلة الكلب نجده يفترس
لإنسان ويقتله ولو أن هذا التذليل للحيوان بقدرة الإنسان لاستطاع
كما دلل الحمل والبقرة والكلب أن يدال الذئب والثعلب وغيرهما من
الحيوانات ولكن الله يريد أن يفتنا إلى أن هذا التذليل بقدرته سبحانه
وتعالى إن الثعبان الصغير وهو حشرة ضئيلة لحم يقتل الإنسان
دون أن يستطيع أن يدله وهذه علامة من علامات طلاقة القدرة في

الكوى .. ليلفتنا احق سبحانه وتعالى إلى أن كل شئ بقدرته ومنه وليس بالأسدب ويس بقدره الإنسان بل إن الله تبارك وتعالى هو الذى خلق وهو لدى جعل هذا فى خدمة الإنسان وهذا يمكن أن يؤذى الإنسان وجعل موازين القوة والضعفة تحتل حتى لا يقال إن هذا الحيوان قرى بحجمه أو بالقوة التى خلقت له بل جعل أضعف لأشياء يمكن أن يكون قتالا للبشر

الجماد والحياة

ثم نأتى إلى الجماد .. لأرض من طبيعتها ثبات قشرتها حتى يستطيع لناس أن يعيشوا عليها ، ويسوا مسكنهم ، ويمارسو حياتهم ولو أن قشرة الأرض لم تكن ثابتة لاستحالت الحياة عليها ، ولاستحالت عمارتها والله سبحانه وتعالى يريد منا عمارة الأرض ولذلك جعل قشرتها ثبته صلبة ولكن فى بعض الأحيان تتحول هذه القشرة الثبته إلى عدم ثبات فتتفجر الراكين ملقية بالحرم وتحدث الزلازل التى تدمر كل ما على المكان الذى تقع فيه . ويتقدم العلم ويكشف الله بعضا من علمه لبعض خلقه ما يشاء ولكن يبقى الإنسان عاجزاً عن أن يتبنا بالزلازل فيأتى الزلازل فى أكثر بلاد لديه تقدماً ليفجئ أهلها دون أن يشعروا بقرب وقوعه بل إنه من طلاقة قدرة الله أنه أعطى بعض الحيوانات التى ليس لها عقول تفكر ، ولا علم ولا حضارة أعطاه عريزة لإحساس بقرب وقوع الزلازل ولذلك فهى تسارع بمغادرة المكان أو يحدث لها هياج إن كانت محدوسة فى أقفاص أو حظائر مغلقة وذلك ليفتنا الله سبحانه وتعالى إلى أن العلم يأتى منه سبحانه ولا يحصل عليه الإنسان بقدرته فيعطى سبحانه من لا قدرة له على الفكر والكشف

العمى ما لا يعطيه لذلك الذي ميزه بالعقل والعلم

لماذا ؟ لعلم أن كل شيء من الله فلا نعبد قدراتنا ولا نقول انتهى عصر الدين والإيمان وبدأ عصر العلم بل نتفت إلى أن الله يعطي لمن هم دوني هي لخلق علماً لا نصل نحن إليه فنعرف أن كل شيء بقدرته وحده سبحانه وتعالى

ومظهر طلاقة قدرة الله هي كونه كثيرة فهو وحده الذي ينصر لضعيف على القوى ، ويتقم للمظوم من لظالم ، وكل ما في الكون خاضع لطلاقة قدرة الله سبحانه وتعالى ، على أن طلاقة القدرة هي تغيير ما هو ثابت من قوانين الكون ، بما يأتي عند نهاية الحية على الأرض حينئذ يغير الله القوامين كلها ويحدث الدمار وتنتهي الحية وذلك مصداقاً لقوله تعالى

﴿ إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ۝ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انشَثَتْ ۝ وَإِذَا الْإِبَارُ فُجِّرَتْ ۝ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۝ ﴾

(الآية من ١ - ٥ من سورة الانطار)

وهناك آيات كثيرة في القرآن الكريم تنبئ بما سيحدث عندما تقوم

القيامة

إن الذين يقولون إن عظمة الله سبحانه وتعالى هي حلقه هي الثبات والدقة التي لا تتأثر بالزمن ، والتي تبقى ملايين السنين دون أن تختل ولو ثامنة واحدة ، نقول لهم هذه موحودة وانظروا إلى القوانين الكونية وبقنهم وكيف أنها لم تتأثر بالزمن والذين يقولون إن عظمة الحق سبحانه وتعالى في طلاقة قدرته هي كونه وألا تكون الأسباب مقيدة

لقدرته الخالق والسبب نقول لهم بصروا في الكون وحولكم مظهر
طلاقة القدرة .. وليست هذه المظاهر مختفية أو مستورة بل هي ظاهرة
أمامنا جميعاً وليست في أحدث بعيدة عن حياتنا بل هي تحدث لنا
كل يوم

وإذا صاح يسار من قسه (رب كبير) أو (ربنا موحود) أو
(رب يمهل ولا يهمل) . فمعنى ذلك أنه رأى طلاقة قدرة الله، تنصف
مظلوماً، أو تنتقم من ظالم . أو تنصر ضعيفاً على قوى أو تلخذ قوياً
وهو محاط بكل قوته الدنيوية .

فإنسان لا يتذكر قدرة الله عندما يرى الكون أمامه يمشى بالأسباب
ذلك أن هذا شيء عادي لا يوجب التعجب فانتصار القوى على لضعيف
لا يثير في النفس اندعاشاً ولا حيرة لعقول لعمل شيء عادي
ولأحداث بالأسباب هو ما يعيشه اندس ولكننا نتذكر قدرة الله إذا
اختلفت الأسباب أمامنا وجاء بسبب إعطيت ما لا يتفق مع لأسباب ولا
مع قوايينها .

في هذا الفصل استعرضنا بعض أسباب الوجود التي تثبت قضية
الإيمان بالدليل العقلي ولكن الله سبحانه وتعالى يقول

﴿وَفِي آيَاتِكُمْ أَفَلَا تَبْصُرُونَ﴾ (١)

(من الآية ٢١ من سورة النازيات)

عني أن بعض الناس ينظر إلى نفسه فلا يرى شيئاً فف معنى هذه
الآية الكريمة ؟

هذا هو موضوع الفصل القادم .

الفصل الثاني :

يقول الله سبحانه وتعالى في كتبه العزيز

وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصَرُونَ

هذه الآية يمر عليها كثير من

الناس دون أن يتنبهوا إلى

العيوضات والمعاني التي

تحتويها من إنك إذا سألت

بسمنا غير مؤمن منا

يعرف عن هذه الآية الكريمة

بقول لك لا شيء في نفسي

هنا إنسان أوبد وأكبر وأتزوج وأعمل وتنتهى حياتى وأموت فماذا
فى نفسى ؟ نقول له لو أنك تدبرت لعلمت أن فى نفسك آيات وآيات
ستذكر فى هذا الفصل بعض هذه الآيات ، لأن آيات الله فى الإنسان
كثيرة ومتعددة

أول شئ هو قول الحق سبحانه وتعالى

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ
عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَسْتُ رَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ
الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾

(الآية ١٧٢ من سورة الأعراف)

إذا قرأت هذه الآية يقول لك غير المؤمن لم تشهد شيئاً ولم نور شيئاً
ولم بحس شيئاً . ويقول بل شهدت . وأنت شهيد على نفسك فى ذلك ..
كيف ؟ . الله سبحانه وتعالى عرفنا أنه موجود . وعرفنا بشهادة ربوبية
وليس بشهادة ألوهية . ومعنى ذلك أن المؤمن والكافر يعلم فى نفسه وجود
الله . ولكن الكافر يحاول أن يستر هذا الوجود ليحقق شهواته وما يريد
ولو على حساب حقوق الآخرين . ولنتنظر إلى ما أحل الله وما حرم الله
ثم لننظر إلى النفس ، البشرية على عمومها لرى ماذا تفعل ولنعرف
يقينا أن هذه النفس تعرف ما أحل الله وتستريح له وتستجم معه . وتعرف
ما حرم الله فيصيبها ، نزاعاً واصطراب ودعر وهى ترتكبه . وأول هذه
الاشياء هو العلاقة بين الرجل والمرأة

إذا جاءك رجل وقال أريد أن أختلى فى حجرة ، ببتك . ماذا تفعل
به ؟ قد تقتله وإن لم تقتله فقد تضربه . ويعينك على ذلك كل الدس
وسيجد فعله هذا استنكاراً عاماً من المؤمن وغير المؤمن

فإذا جاءك هذا الرجل وقال: أريد أن أتزوج ابنتك فإنك تستقبله بالترحاب وتدعو لناس للترحيب به وتعلن النساء على الجميع . وتعقد لقران ، وبعد عقد انقرن تتركه هو وابنتك في الحجرة وتوافق على خلوة بينهما .

ما الفرق بين الحالتين ؟ بعض الناس يقول إنها وثيقة الزواج التي تحرر . فهل الفرق هو الورقة فعلاً ؟ لا . لفرق هو الحلال والحرام ما أحبه الله وما حرمه . ما أحله الله يسجم مع النفس البشرية ويقبله كل الناس . وما حرمه الله تستنكره كل نفس بشرية وتتفجر ضده

كيف يحدث هذا ؟ . لأن عزم يقيد منهج الحق والبطل . ومن عرفته ؟ من لدى وصعه . ليس هذا فقط بل انظر إلى إنسان في شقة مع زوجته مطمئن تماماً يدخل أمام الناس إلى بيته وإذا طرق الباب قام وفتح للطارق . وإذا جاء صديق استقبله بأصمئزاز . وإذا خرج إلى الشارع أخذ زوجته معه أمام الناس جميعاً . انظر إلى نفس الشخص مع زوجة غيره . يعلق الأبواب والنوافذ حتى لا يره أحد . وإذا طرق الباب مزعج ولا يفتح . وإذا جاءه صديق أصيب بالدعر . وإذا خرج إلى الشارع مشى بعيداً عنها

ما الفرق بين الحالتين ؟ الفرق هو الحلال والحرام الدان تعرفهما كل نفس حتى تلك التي لم تقرأ شيئاً عن الدين لأن الله قال

﴿ وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى ﴾

فإذا ،نتقلبا بعد ذلك إلى أوجه الحياة نفس يريد أن يسرق يناكد
أولا من أن الطريق خال ولا يجرؤ أن يفعل ذلك إلا في الظلام أو بعيداً
عن الناس وبمجرد أن يأخذ ما يريد أن يسرقه ينطلق بسرعة وهو
يتلفت يمينا ويساراً خوفاً من أن يراه أحد ثم يبحث عن مكان يخفى
فيه المسروقات انفعالات رهبة في داحه تؤكد أنه يعرف أن ما يفعله
إثم وخبيثة لكن الإنسان عندما يريد أن يدخل بيته ليأخذ شيئاً دخل
أمام الناس جميعاً ومشى باطمئنان وحمل الشيء الذي يريده وهو لا
يخشى أن يراه أحد ذلك أنه يحس في داحله بأنه يفعل شيئاً لا يحرمة
الله الذي يأخذ رشوة مثلاً . يتلفت حوله يمينا ويساراً ويسرع
بخفضها والذي يقبض مرتته يفعل ذلك أمام الدنيا كلها

الإنسان .. وقوانين السماء

وهكذا كل مقاييس الخير والشر مقاييس ،لحير تسجيم معها النفس
البشرية ، وتحس بطبيعتها وراحتها ومقاييس الشر تضطرب معها
لنفس البشرية وبحس بالفرع والدعر وهي ترتكبها من الذي وضع في
النفس هد أنها تعرف يقينا هذه المقاييس التي وضعها الله لمنهجها في
كونه ومن الذي أعلم هذه النفس أن هناك مقاييس وإن هناك لها
إلا أن تكون الآية الكريمة .

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ
عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾

(من الآية ١٢٢ من سورة الأعراف)

هى التفسير الوحيد لمقاييس الحير ومقاييس الشر لتي وضعت فيها
 بالفطرة .. وبما أن هذا عصاء ربوبية، فإن الله سبحانه وتعالى رب الالذس
 كل الالذس من آمن به ومن لم يؤمن ولذللك وجدت فى البشر كلهم
 نأتى بعد ذلك إلى نقطة ثانية الله سبحانه وتعالى غيب وغير
 المؤمن يقول أنا لاؤمن إلا بما أرى أما ما هو غيب عنى فلاؤمن به
 لأننى لم أشهده وإلايمان غير الرؤية فأتت ذا رأيتنى أمامك لا تقول
 أناؤمن أنى أراك لأن لرؤية عين يقين ليس بعدها دلالة ولا تقول أنا
 أؤمن أننى أحس مع أصدقائى ولا تقول إنى أؤمن أنى أرى الشمس مثلاً
 ذلك هو عين اليقين . وهناك علم يقين ، وعين يقين ، وحق يقين فلم
 أيقين هو الذى يأتىك من إنس تنق فيه وفى أنه صادق مى كلامه فإذا
 قال لك إنس مشهود له بالصدق أنا رأيت فلاناً يفعل كذا فأتت تصديق
 برشوقك بمن قال فإذا رأيت الشىء أمامك يكون ذلك عين ليقين فإدى
 يقول لك مثلاً إن هناك مخلوقاً ناراً فى بلدة كذا فأتت تصدقه ، لأنك تنق
 فيه فإذا جاء معه بهذا المخلوق وأظهره أمامك أصبح علم اليقين عين
 يقين . فهذا لمسقه بيدك وتحسسسه وبأكدت من أوصافه يكون هذا حق
 اليقين

والذللك فإن الحق سبحانه وتعالى حين يحاطب غير المؤمنى عن جهنم

يقول

﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ
 لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٧﴾ ﴾

(الآيات من ٥ - ٧ من سورة التكاثر)

ي أن كلا منا سيرى جهنم بعينه في الآخرة ثم يقول سبحانه
وتعالى

﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ۖ فَنُزِّلُ مِنْ جَمِيرٍ ۖ وَنَصِيئَةٍ ۖ حَمِيمٍ ۖ إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ۖ﴾

(الآيات من ٩٢ - ٩٥ من سورة الواقعة)

أي أن الكفار حين يدخلون النار ويعذبون فيها سيكون ذلك حق يقين
أي واقعاً يعيشونه وليست مجرد رؤية

هذه هي الرؤية أم الإيمان فهو تصديق بغيب ، فأنت تقول أنا
أؤمن أن ذلك حدث كما أراك أمامي أي أنك لم تشهد ما حدث ولكنك
وصت بالدليل والاقتناع إلى أنه قد حدث وأصبح في نفسك كيقين
الرؤية تصماً .

أبين الروح في جسدك

غير لمؤمن يقول إن الله غيب وأنا لا أصدق إلا ما أرى يقول قبر
أن تعلن هذا الكلام تذكر الآية الكريمة .

﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾

وأب في جسدك الروح هي التي تهيك الحياة والحركة فإذا خرجت
الروح من جسدك سكنت الحركة وانتهت الحياة

إن كل ما يعرف بقينا أن هناك شيئاً اسمه الروح إذا دخل
الجسد أعطاه الحياة وإذا خرج منه توقفت الحياة من منا رأى
الروح ؟ بل من منا يعرف أين موقعها من الجسد ؟ أمي في القلب

الذي ينبض ؟ أو في العقل الذي يفكر ؟ ، أو في القدم التي تتحرك ؟
أو في العين التي ترى ؟ أو في الأذن التي تسمع ؟ أين مكانها
بالضبط ؟ .. وما هي الروح ؟ .

أكبر علماء الدن لا يعرف عنها شيئاً حتى ذلك العالم اسويسرى
الذى جاء بالناس وهم يحتضرون ورضعهم على ميزان دقيق . وعندما
أسلموا الروح وجد أن الجسد قد فقد من وزنه بضعة جرامات لحظة
خروج الروح .. فأعلن أن الروح لها وزن . أو أن لها كيانه مادياً وإن كان
لا يزيد على جرامات . نقول إن هذا غير صحيح . لأن هذه الجرامات قد
تكون هي وزن الهواء ، الذي خرج من الرئتين . ولم يدخل غيره . أو تكون
سبب توقف سريان الدم بالجسم

إذن الروح هي موجودة في حسد - غيب عنك - فأنت لا تعرف
ما هي ؟ ولا أين هي ؟ وأنت لا تعرف كيفية سريانها في الجسم . وإلا
قل لنا إذا أصيب إنسان في حادث ويثرت ساقاه أين ذهبت الروح التي
كانت هي لسبقين تعطيهما الحياة والحركة ؟ ولكنك تستدل على وجود
الروح مع أنها غيب عنك بآثارها هي أنها تعطي الحياة والحركة بجسدك
ولكن هل وجود الروح في المخلوق لهي وجود يقيني . يقول أكبر علماء
الدين المايين نعم . ولا يستطيع أحد أن ينكر أن الجسد الحي فيه
الروح ، وأن الجسد لميت قد خرجت منه الروح

إذن فوجود الروح علم يقين مستدل عليه بآثارها . فهل إذا كان وجود
الروح هي جسدك يؤكد لك يقين أنها موجودة مستدلاً على ذلك بالحركة
والحياة التي تعطيهما في لجسد . ألا يدل هذا الكون كله بما فيه من

بِعَمَارِ الخلق على وجود الله يقينا ألا تنظر إلى جسدك والروح فيه ثم تنظر إلى الكون لتستخدم نفس لقبور أم أنك في جسدك لا تستطيع أن تحادل وفي الكون بعظمته تجادل ؟ .. أليس هذا كذباً على النفس واحتقاراً لمهمة العقل ألا نشير في معنى الآية الكريمة

﴿ وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴾ .

الإنسان وقدراته

ثم نأتي بعد ذلك إلى النقطة الثالثة غير المؤمن يقول أنا سيد نفسي أنا حاكم نفسي أفعل بها ما أشاء يقول هذا افتراء على الله وجسدك هو ملك لله وهو يفعل فيه ما يشاء إلا ما شاء أن يجعلك فيه محتاراً وإذا لم تصدق ذلك فانظر إلى جسدك .

القلب ينص ؟ فهل أنت الذي يجعله ينص ؟ وهل تستطيع أن توقفه قليلاً يستريح ؟ . أو تجعله إذا توقف أن يعود إلى الحركة مرة أخرى ؟ وكيف يمكن أن يتبع القلب لإرادتك ، وهو ينص ، وأنت نائم مسلوب لإرادة ومن الذي يعطى الأمر للقلب لكي يقلل نبضاته وأنت نائم ، لأنك متوقف عن الحركة ويحمله يسرع في انبض وأنت تقوم بأي مجهود محتاج إلى سرعة حركة الدم في الجسم

وحركة لنفس هل أنت الذي تقوم بها ؟ وإذا قلب نعم فكيف تتنفس وأنت نائم ؟ إنها حركة تتم بالفهر لا سلطان لك عليها فإذا صر لها لأمر الإلهي بأن تتوقف فلا أحد يستطيع أن يعيدها

ومعدتك وما يحدث فيها من تفاعلات لهضم الطعام وأنزيمات تفرز من عدد متعددة ، أيتم هذا بإرادتك

وأمعوك وحركة الطعام فيها وامتصاص ما يفيد الجسم وطرد ما لا يفيده . أبحدث هذا بإرادتك أم أنها تتم دون أن تدري . وكبرت الدم ببضء وهي تتصدى للميكروبات التي تدخل جسدك فترس كرات معينة لتحدد ما يمكن أن يقصى على الميكروبات . ثم يقوم النفاذ بتصنيع المواد لضادة فتقضى على الميكروب فعلا . أتدري أنت شيئاً عن هذه العملية ؟ إن كل هذا مقهور لله سبحانه وتعالى . يقوم بعمله دون أن يتوقف .. ودون أن تدري أنت عنه شيئاً

ومن رحمة الله سبحانه وتعالى أنه خلق هذه الأجهزة لمشورية مقهورة له . ولا لما استطاع الإنسان الحياة ، ولا العمل ، ولا أداء مهمته في عمرة لكور . ولا عقل لي بالله عليك . لو أن قلبك يخضع لإرادتك كيف يمكن أن تنام ؟ إنك ستظل يقظاً ليستمر القلب في النبض . لو أن معدتك تخضع لإرادتك لاحتحت إلى ساعات طويلة بعد كل وجبة لتتم عملية الهضم . لو أن الدورة الدموية تخضع لإرادتك لما استطاع عقلك أن يستمر في الحياة وهو مشغول بمئات العمليات التي تتم كل دقيقة

وهكذا شئت رحمة الله أن يجعل كل هذا بالقهر حتى تستطيع الحياة والسعى في الأرض ، وحتى يمكنك أن تتمتع بحياتك

بدن لا تقل أنا حر في جسدي . أو جسدي حاضع لي . فهذا غير صحيح علمياً وبإدليل لدى . فأنت مقهور في كل أجهزة جسدك . حتى تلك لي أحصعها الله لإرادتك فهذا حصوع ظاهري وليس حصوعاً

حقيقياً ولقد شاعت حكمة الله أن يرى هذا من الدنيا أمامنا بالدليل المادي . فأنت تنصر بعينيك ، وحتى لا تغتر وتعتمد أن هذا الإبصار من ذاتك ، وأنه خاصص لإرادتك . أوجد الله سبحانه وتعالى من له عين مفتوحة ولا يبصر . وأنت تمشي بقدميك . ولكن الله سبحانه وتعالى أوجد من له قدمان ولا يستطيع أن يمشي . وأنت تحرك يديك لتحرك وتفعل بهما ما تشاء . ولكن الله سبحانه وتعالى أوجد من له يداً ولا تستطيع الحركة . وأنت تتحدث دسائس وتسمع بإذنيك . ولكن الله سبحانه وتعالى أوجد من له لسان ولا يقدر على الكلام . ومن له أذن ولا يسمع . كل هذه أمثلة قليلة وضعها الله سبحانه وتعالى في الكون .. لعلنا نعلم أن الله ليس له ذاتية . وأن الأمر كله لله .

فإذا كنت تبصر بأعيننا فمن يبصر بقدرة الله التي أعطت العين قوة إبصار . ويمشي بقدرة الله التي أعطت القدمين قوة لحركة . وتسمع وتكلم بقدرة الله التي أعطت اللسان قدرة الكلام ولأذن خاصية السمع ولو كان هذا بداتية من . ما استماع أحد أن يسلمنا النظر أو السمع أو الحركة أو الكلام

الاختيار والقدرة

بل إن الله سبحانه وتعالى أقدم لنا الدليل على أنه حتى حركتنا الاختيارية لا نتم إلا بقدرة . مثلاً إذا أردت أن تقوم من مكان . كم عصلة تنقبض ، وكم عصلة تدمط ، حتى تتمكن من القيام ؟ . ولكن نقوم من أماكننا ونحن لا ندري أي العصلات تتحرك وأياً لا يتحرك . بمجرد أن يخطر على بالنا لنقوم . هذه لعصلة تنبسط ، وهذه تنقبض بقدرة الله

وليس بإرادتي العملية التي تتم في عضلات الجسم ساعة لقيم ليس
 لك في حركتها إرادة إلا أننا أردنا أن نقوم وكذلك في المشي والجري
 وكل حركة نقوم بها

إذن حركات الجسد كلها خاضعة لنا بإرادة الله سبحانه وتعالى الله
 هو الذي أحصعها لم نريد وجعها تفعل ما نشاء وهي تفعله دون
 علمنا بذلك بل تفعله بشعرة إلهية وضعها الله في أجسادنا فتقبض
 وتبسط العضلات فيتم كل شيء ونحن لا ندري

ثم يقول الإنسان أنا المسيطر على جسدي ففعل ما أشاء نقول لو
 كنت مسيطراً حقيقة لعلمت ما يجري فيه ولكن هذا الجسد مسخر لك
 بقدرته الله ولذلك فهو يفعل لك ما تريد دون أن ندري ، أو تحس كيف يتم
 هذا الفعل

الضحك والبكاء

بل أكثر من ذلك تحدياً من الله سبحانه وتعالى يأتي الحق في كتابه
 الكريم ويقول

﴿وَأَنْتُمْ هُمْ أَضْحَكٌ وَأَبْكٌ﴾

(الآية ٤٣ من سورة النجم)

أكثر من يمر على هذه الآية الكريمة ولا يلتفت إليها ولكن هذه الآية
 فيها عجز من الله سبحانه وتعالى بقول الحق سبحانه وتعالى

﴿وَأَنْتُمْ هُمْ أَضْحَكٌ وَأَبْكٌ﴾

معناه أن الضحك والبكاء من الله وكوبه من الله سبحانه وتعالى
 يكون لجميع خلقه ، فالله حين يعصى ، يعصى الخلق جميعاً ذلك هو عدل

الله فإذا نظرت إلى دنيا كلها تجد أن الصبح والبكاء موحدان بين البشر جميعاً على اختلاف لغاتهم وجنسياتهم فلا توجد ضحكة إنجليزية وضحكة أمريكية وضحكة أفريقية بل هي ضحكة واحدة للبشر جميعاً ولا يوجد بكاء آسيوي أو بكاء أسترالي وما هو بكاء واحد قلغة الضحك والبكاء موحدة بين البشر جميعاً وهي إذا اصطنعت تختلف ..

وإذا جاءت طبيعية تكون موحدة ولذلك إذا اصطنع أحدنا لبكاء أو اصطنع الضحك فإنك تستطيع أن تميزه بسهولة عن ذلك الانفعال الطبيعي الذي يأتي من الله

ومن أعجيب أنك ترى مثلاً الفيلم الكوميدي الذي صنع في أمريكا يضحك أهل أوروبا ولذي صنع في آسيا مثلاً يضحك أهل أستراليا بل إن هناك من أعطاهم الله موهبة لقدرة على إضحاك شعوب الدنيا كلها ولعل هذا بحسب عالمية هي فن كوميدي يضحك للعالم كله وهناك أعلام عاطفية تبكي العالم كله فبعض الأفلام مثلاً إذا قدمته بأي لغة أبكي الناس وهكذا تدل أحياناً لرحمات من الله فتفيض لعيون بالدموع وأحياناً يريد الله أن يروح عن النفوس فتتعالى لصحكات ولكن قد يقول بعض الناس إن هناك ما يضحك واحداً ولا يضحك الآخر وأن هناك مشهداً يبكي إنساناً ، في حين تتحجر الدموع في لعيون فلا يبكي إنسان آخر في نفس الموقف يقول لك لم تفهم الآية فتوجه تعالى

﴿وأنه هو أضحك وأبكى﴾

ليس معناه بالضرورة أن ،إناس تضحك معاً وتبكي معاً ولكن معناه أن الإنسان لا يستطيع أن يضحك نفسه ، ولا أن يبكي نفسه عن شعور صادق وبلا اصطناع ولكن ذلك من الله ، ولذلك نعمت فيه الإرادة البشرية فليس لكل واحد من ضحكة تميزه بل نحن نضحك جميعاً بلغة واحدة وليس لكل واحد منا بكاء يميزه بل نحن نبكي جميعاً بلغة واحدة وليس أى واحد من قادر على أن يضحك ضحكة طبيعية بإرادته كأن يقول إننى سأضحك الآن فيضحك ولا يستطيع إنسان أن يبكي بكاء طبعياً كأن يقول أنا سأبكي الآن فيبكي ، لا أن يصطنع البكاء أو البكاء بشكل غير طبعى.

ولكن يأتى الضحك والبكاء من الله حين يكون طبعياً ولأنه يأتى من الله فهو موحد بين البشر جميعاً فإذا كنت لا تستطيع أن تضحك بنفس أو تبكي بنفس فكيف تدعى أنك سيد نفسك ولماذا لا تسلم لخالفك؟

الفعل .. والمشئة

فإذا كن هذا هو الشأن فى اجسد البشرى فمن يالله لذي هو يملك كل خيوطك فإذا كنت لا تؤمن بهجته ولا تريد ثوابه فاخش عقابه وإذا كنت لا تؤمن بالآخرة فاخش عقابه فى الدنيا فهو الذى يملك كل خيوط حياتك ويستطيع أن يفعل بك ما يشاء.

على أن الله سبحانه وتعالى له اهتات أخرى يلهنا لقدرته وعظمته ووجوده إذ كنت تتأبى على الإيمى بالله وتقول أن سيد نفسى فإذا جاءك قدر الله بالمرض فامعه عن نفسك وقل لن مرض وإذا جاءك قدر الله بالموت فامعه عن نفسك ، وقل لن أموت وإذا جاءك قدر الله فى

مكروه كأن تصاب فى حادث أو أن تسقط من مكان فتتهشم عظامك
مقل لن أسقط.

هذا هو قهر القدرة الذى لا تستطيع أن تقف أمامه وتقول سأقبل
ولا أعمل لأن الله لم يعطك الاختيار فى أن تفعل أو لا تفعل فى الأقدار
التي تقع عليك . فقدر الله عليك بنعمه رغم إرادتك وأنت خاضع لقدر الله
سواء رصيت أو لم ترض . ففى لكون أحداث تقع لا تمك فيها اختياراً

بعض لباس يجادل فى هذا ، ويقول إن الإنسان لقوى يستطيع أن
يصنع قدره نقول إن القرآن الكريم قد رد على هؤلاء فى قول الحق
سبحانه وتعالى

﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ
تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ ﴾

(الآية ٢٦ من سورة آل عمران)

ولابد أن نلتفت إلى قول الحق سبحانه وتعالى

﴿ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ ﴾

أى أنه لا يوجد إنسان يتحلى عن ملك أو عن المنصب والجاه بمرادته
بل لابد أن يسرع منه انتزاعاً وبذلك تأتي الثورات والانقلابات لتزيع
الملك من أولئك الذين اعتقدوا أنهم ملوك الدنيا . وأنهم قادرين على أن
يفعلوا ما يشاءون بمحرد كلمة أو أمر أو إشارة هيأتى الله سبحانه

وبعالي لينزع منهم هذا رعم عنهم فتجد لوحد منهم الذي كان يحتسب به الناس عاجزاً عن أن يحمي نفسه يهرب من مكان إلى آخر وتجده وهو المعتز بالدنيا يتمنى لو أخذ الناس كل ما يملك ، وأنقوا على حياته

إن هذا يحدث ليفتتنا الحق جل جلاله إني أنه لا أحد بأحد الملك أو المركز لعالي بإرادته وتحطيمه وإنما هي أقدر يجريها الله على خلقه هذا أتى أمر الله بزعم منه كل شيء ولو كان الأمر بذاته لما استصاع أحد أن ينزعه منه ولا يوجد إنسان في هذا الكون يستطيع أن يدعى أنه من منعة من قدر الله فإذا كانت هذه هي الحقيقة فهي الدليل لما دعى على أن لإنسان تحكمة عبدة جالعه وأنه لا يستطيع لنفسه نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله

فإذا انتقلت بعد ذلك إلى فعل لإنسان وعمله الديوي تجد بعض الناس يقول إبنى سأفعل كذا وكذا وسأقوم بتنفيذ كذا نقول له إنك أعجز أن تفعل إلا أن يشاء الله فالفعل محتاج إلى زمن ومحتاج إلى مكان ومحتاج إلى فعل ، ومحتاج إلى مفعول به وأنت لا تملك شيئاً من هذا كله فإذا جئنا إلى أفعال عنت لا تملك حتى لحظة التي تعيش فيها ولا تضمن أن يمتد ثلث العمر ثانية واحدة حتى ولو كانت كل لشواهد الصحة تدل على ذلك ألا يوجد من لا يشكو من شيء ، ثم يسقط فجأة ميتاً ويقال جاعته جبهة في المح أو سكتة قلبية أو أصيب بتهبوط حاد في الدورة الدموية^{١٥}

هذه كلها أسباب ولكن السبب الحقيقي هو أن لأجل قد انتهى مصداقاً لقوله تعالى

﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْجِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾

(الآية ٢٤ من سورة الامراف)

إذن ساعة أن صدر الأمر من المسبب وهو الله حل خلاله انتهى العمر

الإنسان والزمن

ومن العجيب أنك ترى أكبر أطباء القلب يموتون بأمراض القلب وأكبر أطباء المخ تنتهي حياتهم بمرض في المخ ، هذا مكث اللحظة التي تعيش فيها ، وبقيت حتى ساعة إتمام الفعل ، فبك قد تصاب بمرض يقعدك عن الحركة ، فلا تستطيع إتمام الفعل ، هذا بالنسبة للفاعل

فإذا جئت لبرمن فانت لا تملك لبرمن ، ولكنه هو الذي يملك ، ولذلك فإنه قد يأتي زمن التنفيذ فتفاجأ بحدث يمنعك كأن يصاب ابنك في حادث مثلا ، أو يموت أحد أقرباك ، أو تضطر اضطراراً إلى سفر عاجل لهمة ضرورية ، أو يقبض عليك في جريمة أو في اتهام ، إذن فانت لا تملك لزمن ولا تستطيع أن تقول إني في ساعة كذا سأفعل كذا

وبالنسبة للمكان فقد تحنار مكاناً لتبنى فيه عمرة مثلا فتأتي لتجد أن هذا المكان قد استولت عليه أسوله لسمفحة اعممة ، أو قد صهر له ورثة لم تكن تعرفهم متوقفو، اعمس ، أو أن تقرر أن يقدم في وسطه طريق أو أن الأرض تحنها مياه جوفيه تجعلها غير صالحة للسء

إذا جئنا للمفعول به فقد يمرض اسى تصب منه العمل اقديم به وقد لا تجد عملاً ليقوموا بالتنفيذ ، وقد لا يأتي المقاول الذي انفقته معه

وقد لا يحضر الموظف الذي سيعطيك الرخصة لتبدأ العمل إذن فأنت لا تملك شيئاً من عناصر الفعل كلها ولذلك طلب منك الله سبحانه وتعالى أن تتأدب وتعطى الشيء لأهله، وتنسب إلى الفاعل الحقيقي ، فقال سبحانه وتعالى

﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۚ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ۚ وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا سَيَّئْتُ وَقُلْ عَسَىٰ أَنْ يَهْدِيَنِّي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ۝﴾

(لايتا ٢٣ و ٢٤ من سورة الكهف)

أى إذا أساك لشيطان أن القوة له جميعاً فتذكر هذه حقيقة تتجاوزها

تأتى بعد ذلك إلى معجزة أخرى هي النفس البشرية تلك هي معجزة القرن الكريم والقرن عبه إعمار كثير ولكننا نتحدث هنا عن إعمار لقرن من النفس البشرية كل اسس مد له طاقة وقدرة عقلية عالمتعلم طاقته العقلية أكبر ممن لم يبل حظاً من العلم أو من الأمى هؤلاء جميعاً لا يمكن أن يجتمعوا عقلاً ليشهد شيئاً واحداً وكل واحد منهم يمسج مع هذا لشيء نفس لانسجام (فباء كانت مثلاً هناك محاضرة في فرع من العلوم فلا يستطيع أن يمسج معها إلا ذلك الذي يفهم في هذا الفرع ، أم يد دخل إليها عدد من الذين لم يعرفوا عن هذا ، نعم غير لانسجام بصيغ ذلك يحدث في كل فرع من فروع الدين ولكن إذا جئت إلى القرن الكريم ، وهو كلام الله ، تجد أن كل النفوس البشرية لمؤمة تسج مع لا تجمعها رابطة علم أو ثقافة وإنما

ابدى بجمعها هو ربطة الإيمان () يك تدخل إلى المسجد تجد فيه المتعلم ويصف المتعلم والعلم وقد جسوا معاً جميعاً يستمعون إلى القرآن الكريم .. وتجدهم جميعاً منسجمين مع القرآن تهتزون نفوسهم له .. وترتاح ملكانهم إليه لا مرق بينهم ، حتى ذلك الذي لا يعرف معنى ألفاظ القرآن الكريم تجده جالساً يستمع وهو منسجم ويهتر من داخله وتقدم لصلاة فيقف لجميع في إنسجام وراء الإمام تختفي الفوارق الدنيوية بينهم .. ويكن تجمعهم ربطة لإيمان فيصلون جميعاً بانسجام ، لأن ملكاتهم التي خلقها الله فيهم منسجمة ومنسجمة مع كلام الله فلا تلاحظ فرقاً ولا ترى إلا مساواة بيمانية

إعجاز القرآن

بل إنه من لعجيب أن القرآن الكريم هو الكتاب لوحيده في العالم لدى يمكن أن يحفظه الإنسان بدون فهم فتجد الطفل الصغير عمره سبع سنوات وربما أقر من ذلك ومع هذا يحفظ القرآن كله ، يمكن لهذا لطفل الصغير غير مكلف أن يستوعب معنى القرآن الكريم؟ بالطبع لا ولكن الإيمان الفطري في داخله يجعله يحفظ القرآن عن ظهر قلب ويتلوه لأن هذا الإيمان من الخالق ، وهو الله سبحانه وتعالى وقرآن هو كلام الله سبحانه وتعالى ولذلك تنسجم النفس البشرية وهي أولى مرحلتها مع كلام خالقها ، ليس هذا إعجاز بقف عنه ليلاقتنا إلى الله سبحانه وتعالى وأنه هو الخالق وهو الموجد فإذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

« إن الإنسان يولد على الفطرة مسلماً ، وأهله يهودانه أو ينصرانه »

قلنا صدقت يا رسول الله ، وأكثر دليل على ذلك هو انسجام فطرة
الإنسان مع كلام الله

بل وأكثر من نسب ، ما أتى الله سبحانه وتعالى ليريد أن الإنسان هو هو
وأه سيأتي به يوم القيامة نون أن يحتلط أحد مع أحد ويتساءل
الذين لا يؤمنون كيف يمكن أن يتكلم الإنسان بنفسه يوم القيامة نون أن
يحتلط أحد مع أحد ؟

نقول إن الله سبحانه وتعالى رحمة بعقولنا قد أعطانا الدليل في
الدنيا وإن ندخل في تكوين الإنسان ، ولا هي أشياء عيبية ولكنها
تأخذ لدليل مادي وحده ، فالشجر وهم ملايين كلهم مضغوط على هيئة
واحدة ولكن كل واحد منهم مميز عن الآخر هالأب يعرف ابنه بين
ملايين الشجر و الابن يعرف أباه وأمه بين ملايين الرجال والنساء بمجرد
المنظرة بمجرد اللمحة تستطيع أن تخرج ابنك أو أبك أو أمك من بين
لباس جميعاً هذا تمييز للإنسان لا يشترك فيه بقية الخلق فأنت لا
تستطيع أن تميز بقرة عن بقرة أو جمل عن حمل أو أى مخلوق آخر إلا
بالإنسان

ولذلك من رعاة الغنم يرقمونها أو يضعون عليها علامات مميزة حتى
يعرفوها ولكنهم لا يضعون على أولادهم علامات حتى يميزوهم عن
غيرهم من ملايين الصغار

الإنسان والتمييز

إن تجد لإنسان مميّزاً بصمة الإصبع لا تتشبه بصمة إبهام
إنسان مع إنسان آخر رغم وجود ملايين البشر ليس هذا فقط ولكن
كل ما بصمة رائحة لا تشابه مع إنسان آخر ونحن لا ندركها ولكن
كلب الشرطة المدرب هو الذي أعطاه الله ملكة تمييزها فيشم رائحة الأثر ،
يحرج هذا الإنسان من بين العشرات بل المئات

وكما أعيدت التجربة قدم كلب الشرطة بأخرج نفس الشخص بل
إبه مع تقدم العلم وجد أنه لكل إنسان بصمة صوت تميزه عن الآخر
وبصمة فك خاصة بأسنانه كل هذا ليلفت الحق سبحانه وتعالى إلى
أنه ميز كلاً من بميزات لا يشترك فيها مع أحد حتى يأتي به يوم ليبحث
هو هو نفسه

بل إن الله سبحانه وتعالى وضع في العدل بأسسب لأسانف رعمأ عنا
عند الأب يحب أصغر أسانه أكثر من لكبر لماذا ؟ لأن الابن
الصغير مهما امتد العمر بالأب سيقصى في رعاية أبيه سنوات أقل من
لكبر ولذلك أعصاه حباناً أكثر ليعوضه عن هذه السنوات ، حتى يكون
خير لأب وعطفه قد ورعا على بيائه بالعدل ، فمنهم من أخذ عصفاً أقل
وسنوات أكثر ، ومنهم من أخذ سنوات أقل وعطفاً أكثر

إلى هنا نكون قد وصلنا إلى باب بعض الفيوصات التي شملتها الآية
الكريمة

﴿ وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴾

فَالْآيَةُ أُعْطِنَا بِوُضُوحِ الدَّلِيلِ الْمَادِيِّ مِنْ نَفْسِ الْبَشَرِيَّةِ بِأَنَّهَا تَعْرِفُ
 اللَّهُ بِالْفَصْرَةِ وَتَعْرِفُ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ بِالْفِطْرَةِ . مُصَدِّقاً لِقَوْلِهِ تَعَالَى

﴿ فَالْهَمَّهُمَا جُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾

(الْآيَةُ ٨ مِنْ سُورَةِ الشَّمْسِ)

وَإِنْ هَذِهِ أَنْفُسُ الدَّلِيلِ الْمَادِيِّ لَا يَمُتُ لِدَانَتِهَا بَعْثاً وَلَا صِرَافاً ، لَا مَا شَاءَ
 اللَّهُ وَإِلَيْهَا مُسْجَمَةٌ مَعَ الْإِيمَانِ بِفِطْرَةِ خَلْقِهَا وَمُسْجَمَةٌ مَعَ كَلَامِ اللَّهِ
 بِفِطْرَتِهَا الْإِيمَانِيَّةِ .

عَلَى أَنَّ الدَّلِيلَ الْمَادِي لَوْحُودِ اللَّهِ لَا يَشْمَلُ أَنْفُسَ الْبَشَرِيَّةِ وَحْدَهَا بَلْ
 يَشْمَلُ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْكَوْنِ فَكُلُّ مَا فِي الْكَوْنِ يَنْطَلِقُ بِأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
 وَفِي كُلِّ شَيْءٍ دَلِيلٌ وَسَنِدٌ إِلَى الْفَصْلِ الْقَدِيمِ بِالدَّلِيلِ الْغَيْبِيِّ

الفصل الثالث :

الرئيس الغيبى

قد يكون عنوان هذا الفصل فيه

تناقض ظاهرى مع موضوع

الكتاب ذلك ،فما لا نتحدث

هنا عن الغيب ولكن نتحدث

عن الأدلة المادية التى يتحكم

فيها العقل وحده ويشهد به

ولذلك قد يقال ما دمتم

تتحدثون عن الدليل العقلى حتى

وهو الله فلفنا لجائتم إلى

الغيب ؟

نقول : إننا لم نلجأ إلى ما هو عيب كالملائكة والحنه والدار وحدة البرزخ إلى غير ذلك مما يعيب عن عقولنا . ولكننا نأخذ من ادليل المادى ما يؤكد لك أن العيب قائم وموجود . وأنتا إن لم تدركه بعقولنا وبصارنا فليس معنى ذلك أنه غير موجود يؤدي مهمته فى الحياة . ذلك أن وجود الشئ مختلف تماماً عن إدراك هذا الوجود . فقد يوجد لشيء وأنت لا تدركه . ومع ذلك فهو يؤدي مهمته فى الحياة . ثم تأتي بركة من رحمة الله تجعلنا ندرك بعقولنا أن ما حسبنا أنه ليس موجوداً إنما هو موجود وقائم ويؤدي مهمته

وقبل أن تبدأ الحديث لابد أن تعرف أن هناك نوعين من العيب عيباً نسبياً ، وغيباً مطلقاً . الغيب النسبى لا يعتبر غيباً فى علم الله وحده بل يمكن أن يعرفه البشر . والغيب المطلق لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى . ما هو العيب النسبى ؟ هو ما لا تعلمه أنت ولكن يعلمه غيرك . هب أن رئيس دولة ما اختار أحد الناس ليتولى منصب الوزارة . ولكن هذا الاختيار لم يبلغ صاحبه . إذن فهو عيب عن صاحبه . ولكنه معلوم لرئيس الدولة ومكتبته إلى آخره . ونعرض أن لصاً سرق من بيتك شيئاً أنت حين اكتشعت السرقة لا تعرف من الذى سرق . ولا أين المسروقات ولكن الذى سرق يعرف نفسه ويعرف أين أخفى المسروقات . . إلخ

إذن هذا غيب نسبى . أى بالنسبة لك ولكنه معلوم بالنسبة لغيرك . هذا العيب قد يعرفه بعض الناس . ولكن الغيب المطلق لا يعرفه أحد

لله سبحانه وتعالى كشف لنا أنه يعلم العيب النسبى والغيب المطلق وأعطانا الدليل على ذلك حتى نعرف أن ما سيقع فى هذا الكون موجود

عند الله ، ومعلوم ومعد ، بحيث يخرج إلى الدنيا بكلمة كن . ولذلك فبنتنا لابد أن نستفت إلى آيين كريمين هي القرآن الكريم .. الآية الأولى قوله تعالى .

﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (٨٢)

(الآية ٨٢ من سورة يس)

أى أن الله سبحانه وتعالى حين يريد أن يظهر لنا شيئاً يمارس مهمته فى لحياه . فبما يقول له كن . فيخرج بكلمة كن من علم الله سبحانه وتعالى إلى كون الله فعله . هي هذه الآية لاند أن نستفت إلى قوله تعالى ﴿ يقول له ﴾ وما دام لحق سبحانه وتعالى يقول ﴿ يقول له ﴾ . بمعنى ذلك أن هذا الشئ موجود . ولما قال الله ﴿ يقول له ﴾ لأن الخطاب هو لشيء موجود فعلا

إن كل أحداث الكون وكل أحداث الدنيا والآخرة موجودة فى علم الله سبحانه وتعالى . فإذا قال لها ﴿ كن ﴾ خرجت إلى علم الناس . ولذلك فإن يوم السبت مثلاً موجود بكل تفصيله وأحداثه فى علم الله . ولجنة موجودة ، ولما أيضاً موجودة . لذلك إذا قيل فى الحديث الشريف « هذا رمضان قد جاء ، تفتح فيه أبواب الجنة ، وتعلق فيه أبواب النار ، وتعل فيه الشياطين »

قد يتساءل البعض كيف يحدث هذا ولجنة لم تحقق بعد ، ولما لم تخلق كذلك . لأن وقتها لم تأت . نقول لا . إنهم مخلوقتان فى علم الله بكل ما فيهما . فبما جاء وقتهم أظهرهما الله . وفى هذا يلعبنا الحق

سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسُهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّى لَا يُجِيبُهَا
لَوْفُهَا إِلَّا هُوَ﴾

(من الآية ١٨٧ من سورة الاعراف)

أى أن الساعة بكل أحد ثها موحودة عند الحق سبحانه وتعالى
ولكنه لا يظهرها إلا عندما يشاء إذن فكل شئ موجود فى علم الله وهو
يظهره متى شاء وكيف شاء

الآية الثالثة قوله تعالى

﴿أَنِّي أَمَرُ اللَّهَ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾

(الآية الاولى من سورة النحل)

كيف يقول الحق سبحانه وتعالى ﴿أنى﴾ أى حدث باستخدام الزمن
الماضى ، ثم يقول لا تسعجوه باستخدام الزمن المستقبل أليس هذا
تناقضاً ؟ .

الماضى والحاضر

يقول إنه لا يوجد أى تناقض لأن هذا الأمر لى يتحدث عنه الآية
الكريمة أنى فى علم الله أى تقرير وماد م قد تقرير فيه حادث بلاشئ
لأنه لا توجد قوة ولا قدرة تستطيع أن تمنع ما يريد الله والله سبحانه
وتعالى دائم الوجود لا تأخذه سنة ولا نوم حتى تظن أنه قد يعفل عن شئ
د ثم القوة والقدرة وكل من فى هذا الكون يستمد قدرته من الله سبحانه
وتعالى

ولذلك مدام لله هو الفاهر فوق عبده جميعاً فمتى قال ﴿أتى﴾ يكون قد حدث معاً أما قوله ﴿فلا تستعجلوه﴾ أى لا تستعجلوا ظهوره وحروجه إلى دنياكم لمادية أو لا تستعجلوا ظهوره لكى يصبح مشهوداً بديكم وهكذا يرى أنه لا يوجد أى تناقض أو تضارب فى قوله تعالى ﴿أتى أمر الله فلا تستعجلوه﴾

نأتى بعد ذلك إلى الدليل لعينى على وجود الله ونبدأ الحديث بالدليل من الإنسان أولاً ، ومن لأحدث ثبب ، ومن قضاي الكون ثالثاً فنتب هى لنقاط الثلاث لنى سنتحدث عنها فى هذا الفصل وإن كنت هناك نقاط كثيرة لا يتسع لمحال لها لأننا سنتناول الدليل الكونى ، والدليل الاحصائى ، والدليل لعمى وغيره من أدلة ونحن هه نعطى أمثلة يستطيع الناس أن يتيسوا عيها بعد ذلك لأنه كما قلت كل شىء فى هذا الكون يشهد أنه لا إله إلا الله ويشهد بدليل لمادى

دأ أردت أن يبدأ بالنفس البشرية فإن الله سبحانه وتعالى أعطانا الدليل على أنه يعلم عيب النفس البشرية وما تخفيه وإذا أردنا أن نبدأ بالنفس البشرية فإب نبدأ بن الله بسيطر على عيب هذه النفس سيطرة كاملة ولذلك قال الله تعالى فى القرآن الكريم

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مَرْيَمَ أَنْ ارْضِعِي فَإِذَا حَفَّتْ عَلَيْهِ فَكَأَلَيْهِ فِي السَّعَةِ وَلَا تَحْزَنِي وَلَا تَحْزَنِي إِنْ أَرَادَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَالْجَنَّةِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمَرْسَلِينَ ﴿٧﴾﴾

إذن حواطر النفس لبشرية هي يد الله سبحانه وتعالى والعقل لبشرى هو يد الله سبحانه وتعالى يعطيه من لحوطرم يشاء ، ويمع عبه ما يشاء ولكن الإنسان خلق حر^١ فى الاختيار بقول نعم حر فيما أريد له الله أن يكون حر^٢ فيه وهو المنهج ولكنه ليس حر^٣ حرية مطلقة رغم أن الكثيرين ينكرون هذه الحقيقة فالإنسان حر نعم فبما قال له الله فيه أعمل ولا تفعل هذا نطاق الحرية الأولى فى تطبيق المنهج وهو حر فى أن ينطق شهادة الإيمان أو أن ينطق شهادة الكفر والعيب^٤ بالله وهو حر فى أن يفعل ما وصعه الله فى منهجه وفى تطبيق هذا المنهج ومنهج الله يشمل كل نشاطات الحياة

فالإسلام ليس مجرد شهادة أنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ورم قدم الصلاة وريثاء الركاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا تلك هي أركان لإسلام الأركان التى بنى عليها هذا الدين لإسلام أشمل من ذلك بكثير ولكن العقول لبشرى فيما لا يخص المنهج خاضع لطلاقة قدرة الله

ما هو الدليل على القدرة ؟ ! .

ولكن ما هو الدليل ؟ نقول قرأ قور الله سبحانه وتعالى

﴿ تَبَيَّنَ بَدَأُ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۚ ﴿١﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۚ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ مَا دَرَأَتِ لَهَبٌ ۚ ﴿٣﴾ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۚ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۚ ﴿٥﴾ ﴾

(سورة المسد)

هذه السورة الكريمة نزلت هي أنى لهب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم .. وقد كان كافراً رقص الإيمان محارباً لدين الله ورسوله نزلت هذه السورة وأبو لهب كافر وكثير من صناديد قريش ورعماء مكة كانوا كهراً .. ثم هداهم الله فأسلموا مثل أنى سفيان وخالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل وغيرهم وكان من الممكن أن يكون أبو لهب من هؤلاء وأن يهتدى للإسلام ولو حدث ذلك لانهدمت قضية لإيمان كلها لأن القرآن قال إن أنا لهب سيموت كاهراً ولكن هناك شئ آخر لابد أن نتنبه إليه وهو أن هذا الإحسر بعيب لأن أنى لهب سيموت كافراً جاء في أمر اختارنى أى يحضض ظاهرياً لإرادة أبى لهب

ماذا كان يمكن أن يحدث لو أن أنا لهب ذهب إلى مكان يتجمع فيه أهل مكة أو دعا زعماء مكة إلى اجتماع وقال لهم لقد قال عيسى محمد فى قرآن العصى أنه ينزل من السماء عيسى سأموت كافراً وسأدخل النار ولكننى أقول أممكم تشهد أن لا إله إلا الله واشهد أن محمد رسول الله لنعموا أن هذا الكلام غير صادق وأن محمداً لا يوحى إليه بشئ

ماذا كان يمكن أن يحدث لو نطق أبو لهب بالشهادتين رياء أو نفاقاً ليهدم قضية الدين ولكن حتى هذا لنصرف أبى كان يمكن أن يخدم قضية الكفر التى كان أبو لهب أكبر أخصائها حتى هذا الكلام لم يحطر عصى عن أبى لهب ولم يقله أبىس هذ دليل على أن ما يريده الله لابد أن يحدث . أىوجد تحد أكبر من أن يعصى الله تكبر أعداء الإسلام لقضية حتى يهدم بها هذا الدين ثم لا يستطيع أن يستخدمها أبىس هذا

دليلاً على أن ما يقضى به الله عيباً لا بد أن ينعد مهما بداعير ذلك وهل يوجد دليل أكثر من ذلك على أن الغيب عند الله لا بد أن يقع ؟

ثم نأتي بعد ذلك إلى دليل آخر عندما تحولت القلعة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة نزل القرآن يقول

﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّيْنَاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ﴾

(من الآية ١٤٢ من سورة البقرة)

واستخدم حرف السين هه دليل على أن الأمر لم يحدث بعد ، ولو أنه حدث يقال لله سبحانه وتعالى هل السفهاء ولكن قوله تعالى سيقول ، دليل على أن ذلك سيحدث مستقبلاً ، ولآية نزلت في غير المؤمنين وتبيت عندهم قلوب أن يقولوا ولو أنهم فكروا قبيلاً لسكنوا ولم يقولوا شيئاً ، وحينئذ كان الناس سيتساءلون عن قول الله

ويقولون لم يأت هؤلاء الذين وصفهم الله بالسفهاء الذين ويقولون ما ولاهم عن قبلتهم ، ولكنهم رغم أنهم يريدون هدم الدين ، ورغم أن الدلائل المادية لهدم قضية الإيمان وصع في أيديهم إلا أنه لم يخطر على بالهم أن يمتنعوا عن لقول بل جاءوا وقالوا لنعلم أن أمر الله وعيب الله لا بد أن ينفذ مهما كانت هناك إرادة بشرية .

لحق سبحانه وتعالى أعطانا الدليل المادي على صدق قوله سبحانه وتعالى

﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ ﴾

(من الآية ٢٢٥ من سورة البقرة)

وهذا هو الدليل

فالدّين لا يؤمنون لا يصدقون هذا الكلام ويقولون أين الدليل العقلي على ذلك ؟ نقول إن دليل العقلي موجود فالله سبحانه وتعالى أنزل في القرآن الكريم الدليل على أنه يعلم ما في النفس وما يدور فيها اقرأ قول الحق سبحانه وتعالى

﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا أَنشَهِدْ إِنَّكَ لِرَسُولِ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لِرَسُولِهِ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾

(الاية الاولى من سورة المنافقون)

هذه الاية الكريمة قد نزلت عندما جاء عدد من المنافقين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليعلموا إسلامهم . ما قال المنافقون ؟ قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم

وهذه شهادة حق لأن الله سبحانه وتعالى يقول والله يعلم إن لرسوله من شهادة المنافقين وافقت علم الله سبحانه وتعالى . ولكن الله سبحانه يقول

كيف يكون المنافقون كاذبين وهم قد شهدوا بما قاله الله سبحانه وتعالى ؟ نقول إن الله أراد أن يعلم رسوله صلى الله عليه وسلم أن ما تقوله السنة هؤلاء المنافقين لا يوافق ما في قلوبهم فهم شهدوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالرسالة ولكن بالسنّة فقط . أما قلوبهم فهي منكورة لهذه الرسالة منكورة بها وهكذا نحن ما في صدور المنافقين وما يخفونه عن الناس ولم يجروا أن يكذبوا ما أعلمه الله وقرآن

لكريم فيه آيات كثيرة تعطينا الدليل المادي على أن الله يعلم ما يخفي
 لإسنان في صدره ولو لم يصدق به رعى ذلك يقول لحق سبحانه وتعالى

﴿وَأَنَّهُ يَعْلَمُ الْغَيْبَ وَأَخْفَى﴾

(من الآية ٧ من سورة طه)

والسر هو ما يسره الإنسان إلى غيره . والسر د ثماً يكون بين
 اثنين وما هو أخفى من لسر أى م لا يطبق به الإنسان لأحد بل
 يبقى في صدره لا يعلمه أحد غيره والله سبحانه وتعالى بكفى لفضح
 الكافرين والمنافقين فيقول

﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُ اللَّهُ﴾

(من الآية ٨ من سورة المجادلة)

إذن هم لم يقولوا هذا لكلام لأحد . ولكن قالوه في أنفسهم فقط ولم
 تنطق به سنتهم .. ولا تحركت به شفاههم

ونكر الله قصصهم وأساء بما في صدورهم ولم يستطيعوا أن يكذبوه
 ولو أن هذا كان صحيحاً لقالوا لم يقل شيئاً في أنفسنا ولكنهم بهتوا
 بعدم الله سبحانه وتعالى فلم يستطيعوا إرد عليه ولو بالكذب

الله حدد من المنتصر

وهكذا يظهر بالدليل المادي أن الله سبحانه وتعالى يعلم ما في الصدور
 وما تخفى لأفئس ولا تعنه ، وأن الله عليم بما يحرم الإنسان على
 جفائه عن الذب كلها . فعلم الله يمتد إلى غيب النفس لبشريه وم
 تحاول أن تكتمه أو تعتقد أن أحداً لا يعلمه

ثم يأتي الحق سبحانه وتعالى بدليل مادي آخر على أنه هو عالم العيب وأن ما يقوله حادث وباهظ وأن الذنب كلها لا تستطيع أن تغير قدراً من أقدار الله ويعصينا الدليل لمادى على ذلك فيقول تدرك وتعالى

﴿ اَللّٰهُمَّ عَلِمْتَ الرُّومَ ﴿١﴾ فِيْ اَدْنٰى الْاَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَلَيْهِمْ مُّسِيْرٌ ﴿٢﴾ فِيْ بَضْعِ سَبْعِ سِنِيْنَ ۗ لِلّٰهِ الْاَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَ يُنْفَخُ الْفُؤَادُ مِنَ الرُّؤْمِ ﴿٣﴾ اَللّٰهُمَّ اَنْتَ اَعْلَمُ ﴾

(الآيات من ١ - ٤ من سورة الروم)

وهذه حقيقة تاريخية لا يمكن أن يسكرها حتى للحدود ولقد سزلت هذه لآية عندما قامت الحرب بين الفرس والروم وكانت لدولتان تمثلان أكبر قوة في العالم في ذلك الوقت مثل الاتحاد السوفيتي سابقا وأمريكا الآن وقامت الحرب بينهما وهزمت لروم في هذه الحرب وعندئذ عرج لكفار لأن العرس كنو بولة كافرة تعدد لندر والروم كانت دولة مسيحية أى أهل كتاب وحرر المؤمنون لهزيمة الروم لأن انكفر تنصر على قوم هم أهل كتب ، وأرد الله سبحانه وتعالى أن يطمئن المؤمنين ويذهب عنهم الحزن هنزلت الآيات الكريمة تبشّر بأن الروم سينتصرون بعد بضع سنين وفي وقتها راهن المؤمنون الكفار على أن يتنصر لروم سيحدث وكان من لراهمين سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه لذي راهن بأربعة من لإبل على أن نتنصر لروم سيحدث بعد سبع سنين ولما مضى هذه المدة ولم يحدث شيء ، عرج لشركون بذلك ، وشق على المسلمين ، فذكر ذلك للرسول صلى الله عليه وسلم ، فقل ما بضع سنين عندكم ، فقاو دون العشر ، فقال لأبي بكر

إذهب فزايدهم وازدد سنين في لأجل فما مصت الستتان حتى انتصر
الروم على لفرس ففرح المسلمون بذلك ثم بهي لرسول أبا بكر ونهى
الصحابة عن المراهة وقال إن الإسلام لا يقرأها ولا يسمح بها

من الذى يستطيع أن يتنبأ بنتيجة معركة حربية ستحدث بعد تسع
سنوات ؟ وماذا كان يمكن أن يحدث لو أن الروم و لفرس عقد صلحاً
خلال هذه لسنوات لتسع أو أن لفرس ستعدوا استعداداً قوياً لهذه
الحرب وهزموا الروم مرة أخرى ومن الذى يستطيع أن يضمن نتيجة
معركة حربية ستحدث بعد هذه الفترة الطويلة بل إن أحداً لا يستطيع
أن يتنبأ بنتيجة معركة حربية ستحدث بعد لحظات بل إن كل قائد لآى
معركة حربية لا يكون واثقاً من النصر قبل أن تبدأ المعركة أو حتى
عندما تبدأ فلو علم أى قائد معركة حربية أنه سيهزم لما دخلها

يأتى الله سبحانه وتعالى ليعطيه دليل لمدى على أنه يعلم عيب
السموات والأرض علم اليقين فينبغ بنتيجة معركة لا بين قوتين
محدودتين ، ولكن بين دولتين عظميين ويبغنا عن نتيجة هذه المعركة قبل
أن تبدأ تسع سنوات كامة ويخبرنا من لمدى سيدنصر ومن لمدى
سيهزم وتأتى الأحداث وتقع الحرب وينتصر الروم ويهزم لفرس كما
أخبرنا الله سبحانه وتعالى وماذا كان يمكن أن يحدث لو أن لفرس
انتصروا على الروم وانقران كلام الله المتعبد بتلاوته إلى يوم لقيمة
وكيف كان يمكن أن يقف المسلمون في اسياحد ويقرأو سورة الروم في
الصلاة مع أن نتيجة لحرب قد اختلفت عما جاء في هذه لسورة

وهكذا نرى مدى الإعجاز في أن الله سبحانه وتعالى ، قد بين لنا الدليل لدى على أنه يعلم العيب ، وأن علمه للعيب علم يقين لا بد أن يحدث وأن يتم .. وأنه المسيطر على أمور الدنيا كلها حتى في تلك الأشياء التي لا يمكن أن يتنبأ بتفتحها أحد قبل حدوثها بشع سنوت بل لا يمكن أن يتنبأ بتفتحها أحد حتى ساعة حدوثها ، أليس هذا دليلاً مادياً على أن الله سبحانه وتعالى هو الذي يسير لأمر في كونه وهو الذي إذا قال كن يكون "ليس هذا دليلاً على أن الله سبحانه وتعالى إذا قال

﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾

(الآية ٨٢ من سورة يس)

قول من إله خالق ومسيطر وقادر على كل حدث كونه فإذا عرف ذلك بالدليل المادي ألا نفهم معنى الآية الكريمة

﴿ أتى أمر الله فلا تستعجلوه ﴾

ونصدق يقينا بأن الله سبحانه وتعالى وحده هو رب وإله هذا الكون

الوجود وإدراك الوجود

على أننا لابد أن نتفق بعد ذلك إلى نقطة هامة جداً .. وهي أن عدم إدراكنا لوجود الشيء لا يعني أن هذا الشيء غير موجود ، فهذا حدثنا الله سبحانه وتعالى عن الملائكة وعن الجنة وعن النار وعن الشياطين فلان أن نصدق بيسر بالدليل الإيماني فقط لأن لقتل هو الله ولكنه سبحانه وتعالى في تحد أعصى الدليل المادي بغير المؤمن به على أن العيب

موجود وزى لم نكر بدرك وجوده وأعطاه لنا من أحدث هذا لكون وم
 يقع فيه من ماديّات

فإد أخذنا مثلاً لحراثيم تلك للحبوبات لدقيقة التى تهاجم حسد
 لإنسان وتصيبه بالمرض هذه الجر ثم عاشت مع الإنسان ممره كله
 ولكنا فى أول الحياة البشرية وحتى فترة قصيرة لم نكن نعرف عنها
 شيئاً.

ثم تقدم العلم وتوصل لعلماء إلى الميكروسكوبات الالكترونية لتى تكبر
 حجم الشئ ملايين لمرات .. فماداً رأينا ؟ رأينا عجاً ، ميكروبات لها
 شكل ولها حركة ولها حياة وله تناسل وتكثر وله طريقة لتحترق
 جسم لإنسان وتصر إلى الدم ولها تفاعلات مع كرات الدم

عالم كبير لم نكن نعرف عنه شيئاً بل كان غيباً عنا منذ مائة سنة
 ومع ذلك ومع كونه كان غيباً عنا فهل لم يكن موجوداً ؟ لا ، بل كان
 موجوداً يؤدى مهمته فى الحياة ..

وكان لعلماء فى الماضى يعتقدون أن المرض معناه أن الأرواح
 الشريرة قد تلبست حسد الإنسان وكبو يضربون المرضى أو يكون
 أجزاء من أحسادهم حتى تخرج هذه الأرواح الشريرة ثم تقدم العلم
 واستطعنا أن نرى رؤية العين هذه لحراثيم ، وهى تتحرك وتناسل ،
 وتحترق وتحارب من استطعنا فى تجاربنا العلمية أن ندخل هذه
 لجر ثم إلى أجساد الحيوانات ، ندرس دورة حياتها وكيفيه انقضاء
 عليها

وهكذا أعطانا الله الدليل المادي على أن ما هو غيب عننا موجود ويؤدي مهمته في الحياة وأن عدم إدراك لوجوده لا يعني عدم هذا الوجود

وإذا نظرنا إلى قصرة الماء الذي نثره تحت الميكروسكوب لوجدنا فيها أشياء عجيبة . أشياء فيها حياة ولها حركة ولها كيان ولها نور في الحياة . وكما لم نكن نعرف منذ فترة قصيرة أن هذه الأشياء موجودة فهل كان هذا شهادة بعدم وجودها أم أنها كانت في الحقيقة موجودة ولكننا لا ندرك هذا الموجود .

فإذا تنقلنا إلى الكون كله وجدناه يشهد أن الوجود شيء وإدراك الوجود شيء آخر تماماً وأن ما لا ندرك وجوده يؤدي مهمته في الكون . فنستظر مثلاً إلى الأقمار لصاعية والإرسال استيفزيوني هل كان أحد يعرف أن ما يقع في مكان ما في العالم يستطيع لعالم كله أن يشهده وفي نفس لحظة حدوثه ؟ طبعاً لم يكن أحد يعرف ذلك

ثم كشف الله سبحانه وتعالى لنا من عممه ما مكتنا من أن نعرف أنه موجود في الكون من الخصائص ما يمكن أن يجعل الإنسان في كل الدنيا يرى ويشهد ما يقع في مكان ما وقت حدوثه ويرى الإنسان وهو يدر على القمر وهو يمشي فوقه

كيف توصل الإنسان إلى هذا لتقدم العلمي ؟ هل اخترع غلافاً حراً يستطيع أن يقل الصور ؟ هل جاء بمواد من خارج الأرض أو بمواد من خارج خلق الله ليصنع منها لأقمار لصاعية التي حققت هذه الاتصالات ؟ طبعاً لا ولا يستطيع أن يقول ولا حتى أكثر الماديين أن

هذه لخصائص التي استخدمت قد أوجدها لإنسان وخلقها ولكن
لغلاف الجوى ولود في الأرض موجودة منذ خلق الله الأرض ومن عليها
ولكن خصائصها كانت عينا عنا

وعندما جاءت مشيئة الله لتكشفها لنا وجدا شيئاً مجباً فاستخدمناه
مُعطينا ما نحن فيه من تقدم علمي . أيستطيع أحد أن ينكر خصائص
الكون وأنها كانت موجودة . قبل أن يعصب الله كيف نستخدمها ونعيم
نستخدمها . لا يستطيع أي مكابر أن يقول أنها لم تكن موجودة . بل
كانت موجودة ولكنها عيب عيب . فيما أرى ربنا الله أن نعيمها كشفها لنا
لنعلم أن ما هو عيب موجود . رغم أننا لم نكن ندرك وجوده

فإذا نظرنا إلى ما في السموات نجد أننا كلما استطعنا أن نصنع
ميكروسكوباً أضخم وأقوى . استطعنا أن نكشف أحراماً سماوية جديدة
وبراهما لأول مرة . هل كانت هذه الأجرام التي لم نكن نعرف عنها شيئاً
غير موجودة ؟ أو لم تكن تؤدي مهمتها هي لكون ؟ كانت موجودة
وكانت تؤدي مهمتها هي لكون . ولكن لله سبحانه وتعالى أحق وجوده
عنا إلى أجل حدده . فلم جاء الأجر كشف لنا هذا الوجود ففرمناه حتى
نعلم أن ما هو عيب ما موجود يؤدي مهمته هي الكون ولو لم ندرك وجوده

حياة البشر

ووجود الخالق

بل إن الله سبحانه وتعالى أراد أن تكون الحياة الإنسانية كلها
شهادة على أن . لعيب موجود . أراد أن يكون شهاداً على أنفسنا حتى

لا تأتي يوم القيامة ويقول يارب لم نعطا الدليل العقلي على أن ما هو غيب عن موجود ، فضلت عقولنا يارب لو أعطيتنا الدليل لكننا أمنا . ولذلك جاءت حياة البشر كلها شاهدة على ذلك فالله سبحانه وتعالى اعصى الأسرار وحده القدرة على أن يرث لحصارة ويصيف عليها هي حين سلب ذلك من كل مخلوقاته ولدت ترى أن حياة الحيوان مثلاً كما هي منذ بدء الخليقة لم تتقدم فلم تسمع عن أن مجموعة من لقود مثلاً قد عرفت اجتماعاً لترتقى بوسائل حياتها وتبنى لنفسها أماكن مكيّفة لهواء تقيها حرارة انجوف في لندطق الاستوائية .

بما لم تسمع أن مجموعة من الحيوانات القطبية قد جلست معاً لتخترع وسائل تدفئة تقيها برد الشتاء القارس لدى يبددها ويفنئها ويجعلها تتضرر جرعاً . ولم تسمع عن مجموعة من الحيوانات حسنت تداول للوصول إلى دواء لمرض يفتك بها أو للوصول إلى مسد لحشرة تنقل لها الأمراض بل الرقى في حياة الحيوان أو الثبات الذي يضعه هو لعقل البشرى ..

ولكن لإنسان مختلف عن ذلك تماماً فالعقل البشري قد أعطاه الله سبحانه وتعالى ميزة وراثية الحصارة البشرية فكل جيل يبدأ حياته من حيث ينتهي الجيل الذي قبله ثم يضيف إليها وقدرة العقر البشري على استيعاب لعدم العلم لا حدود لها ولذلك فإن كل جيل من البشر يعرف شيئاً كان عيباً عن لجيل الذي قبله وكل جيل من البشر يتيح الله سبحانه ويعاني له من أسرار ما وضعه في كونه ومن قوانينه لكون ما لم يتيح للجيل الذي قبله .

وإذا كان هذا لجيل هو جيل الكمبيوتر مثلاً ، فإن الجيل القديم سيكشف الله له من أسرار هذا الكون ما يعصيه علماً يجعل أجهزة الكمبيوتر الحالية شيئاً من مخفيات الماضي وهكذا ترتقى الحضارات

وكما تقدم ، الزمن كانت سرعة ارتفاع الحصار ، البشرية أكبر لأن إضافات مستمرة تحدث لهذه الحصارات وكل ضافة تفتح الطريق أمام إضافة أكبر

لماذا أعطى الله سبحانه وتعالى لبشرية وحدها هذه القدرة على الرقى الإنسانى لنعرف جميعاً وبحر لدين أعطت ، لاحتياز من أن تؤمن أو لا تؤمن نعرف جميعاً أن لعمود المولى فى أن ما هو غيب عما غير موحود هو خرافة ونحس فى حياتنا كل يوم بأن هناك غيب عما يصبح واقعاً معلوماً ونرى لمعجزة تحدث أمام أعيننا مرات ومرات ونشهدنا رؤية اليقين علما بتدبير وتفكر قبيلا ، نعم أن الله سبحانه وتعالى بحكمته ورحمته قد أعطانا الدلائل المادية على أن ما هو غيب عما موجود .

فإن أضرما بغيب لا سكره ولكن يؤمن بوجوده وبأن قدرتنا لحالية لا تصل إليه ولكنها قد تصل إليه فى المستقبل

وعى ذلك بلغتنا القرآن الكريم فى قوله تعالى
﴿ سَرُّهُمْ ءَاتَيْنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾

(الآية ٥٢ من سورة فصلت)

ونعرف معنى قول الله سبحانه وتعالى

﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَحَدُهَا لَازَءَ رُحُفَهَا وَارْتَبَتَ ظَنَبُهَا أُنْثَاهَا أُنْثَاهُمْ قَدَرُونَ عَلَيْهَا أَتْنَاهَا أَمْرًا لَّيَالًا أَوْ هَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغِبْ بِالْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٢٤)

(الآية ٢٤ من سورة يونس)

وهكذا ونحن برقم مسبرة لحصرة اششرة نعم أن الله قد أخبرنا أن هذه الحضارة سترتقى وترتقى بما يكشفه الله لنا من قوانين هذا الكون حتى نظن أننا قادرون على أن نفعل ما نشاء في الأرض وهذا الظن ليس حقيقة ولكنه مجرد ظن لأن الله الذى كشف لنا هذه القوانين لم يحضنها لإرادتنا ولكنه سبحانه سحرها بنا فقط ليفعل بها ما يشاء

فإذا عثر لإسان وعتقد أن هذه لقوانين من صنعه أو أنه أخضعها بداتية علمه ويدور أمر الله تبارك وتعالى يأمر الله سبحانه وتعالى هذه لقوانين أن تحرج من أمر لإسان فتدمره وتقوم الساعة

الله أخبرنا بكنوز الأرض

وإذا كنا نريد أن نتحدث عن دليل عيسى آخر يريد من الأدلة العقلية انى تثبت وجود الله فلا بد أن نقرأ قوله تعالى

﴿ لَمْ يَكُنِ فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَشَاءُ وَمَا تَحْتِ الْأَرْضِ ﴾ (٦)

(الآية ٦ من سورة طه)

فلو قرأنا هذه الآية التي نزلت منذ أكثر من أربعة عشر قرناً لعلمنا
أن أحداً لم يكن يدري شيئاً ولفترة طويلة عن معنى قوله تعالى

﴿ وما تحت الثرى ﴾

وكان كل ما تحت الثرى لو تحت التراب أو في باطن الأرض غيباً عنا
ثم أراد الله سبحانه وتعالى . أن يكشف لنا أن ما هو غيب عنا موجود ..
وإن لم تكن ندري بوجوده . فكشف لنا ما تحت الثرى . فوجدنا أن ما
تحت الأرض يحتوى على كنوز رهيبة . وجدنا البترول والذهب والمعادن
والحديد وأشياء نفيسة . ووجدنا المياه الجوفية . ووجدنا عداً هائلاً
يحتوى على مواد لم يمكن تعلم بوجودها ولا نعرف شيئاً عنها

وهكذا أعطانا لحق سبحانه وتعالى دليلاً آخر على أن ما هو غيب عنا
موجود . وإن كنا لا ندرى وجوده . فلا أحد في هذه الدنيا يستطيع أن
يدعى أنه هو الذي أوجد ما في باطن الأرض من كنوز . ولا أحد مهما
بلغ علمه ولا عماء الأرض مجتمعين يستطيعون أن يدعوا أنهم هم الذين
أوجدوا هذه البحيرات الهائلة من البترول أو هذه المعادن النفيسة
كالذهب والفضة أو الباس أو النحاس أو الحديد أو الألمونيوم أو غيره

بل إن هناك كموراً تحت الثرى مخفية عن أعيننا تفوق الكنوز التي
هي ظاهرة لأعيننا فوق سطح الأرض .. وهذه الكنوز لم تأت من عدم ولم
توجد في السنوات الأخيرة . بل كانت موجودة في باطن الأرض منذ أن
خلقها الله سبحانه وتعالى . ولكنها كانت عيياً عنا فلم نكن نعرف
بوجودها .

حينئذ نكون قد وصلنا إلى أن الله سبحانه وتعالى .. قد أعطانا من الأدلة المادية والعقلية ما يؤكد لنا أن ما هو غيب عما موجود وإن لم يكن تدرك وجوده

فإذا حدثنا الله سبحانه وتعالى عما هو غيب عما كالأخرة والحساب ولجنة والنار لا نقول إن الله يخاطبنا بما لا نستطيع أن تدركه عقولنا . وأننا لا نستطيع تصديق ذلك .. بل نعود إلى واقع الكون . ونتأمل ما فيه من آيات وما وضعه الله لنا فيه من دلائل ولو أننا تدبرنا لقلنا يارب لقد أعطيتنا مع الدليل ، الإيمانى الدليل الفعلى الذى يقرب الصورة ، إلى أدهام حتى تدركها . وليس لنا عذر يارب يوم الحساب . فى أن نقول إن عقولنا لم تدرك ، لأنك وضعت فى كونك الأدلة المادية التى تثبت أن الغيب واقع وموجود . وكن يجب أن تكون هذه الأدلة هى طريقنا إلى الإيمان .. لا طريقنا إلى الكفر والإلحاد .

على أمت سننتقل بعد ذلك إلى الآيات الأرضية التى أراد الله سبحانه وتعالى أن يلعننا بها إلى أنه لا إله إلا هو الخالق والموجد والقادر

الفصل الرابع:

وفي الأرض آيات

له سبحانه وتعالى له آيات تملأ
الأرض والسماء ولكننا عاقلون
عنها ومن الإعجاز الإلهي أن
آيات الله لا تنتهي **هــ**
مشيت في لصريق فهذه آيات
هــ وإذا صعدت إلى الجبل فهناك
آيات وإذا نزلت إلى قاع
البحر وجدت آيات **وـ**
صعدت إلى سماء كانت هناك
آيات من آيات

وإذا نزلت إلى باطن الأرض فهناك آيات وآيات هناك آية هي تلك الشجيرة الصغيرة التي تراها تنبت في سطح الجبل .. ساقها هشة لينة ربما لا تحمل قبضة يدك ومع هذا فقد فتت الصخر ونبتت فيه واستطاعت الشجيرة الرقيقة الرفيعة أن تمتد وتضرب في بطن الجبل وتحصل على غذاء .

وتتعجب أنت كيف يمكن أن يحدث ذلك مع أنك لو أردت أن تضع ثقباً في سطح الجبل لاحتجبت إلى آلات حادة وقوى كثيرة وتعرف أن الله سبحانه وتعالى الذي خلقها قد ألان لها الصخر فنبتت فيه . والآن لحدودها صحور ، لجبل فامتدت حتى وصلت إلى المصدر الذي يعطيها الغذاء

هذه الآيات لا تحتاج إلى بحث ولا إلى ميكروسكوب ولكنها تحتاج لجرد التأمل وفي الأرض ، يات كثيرة لا تحتاج منا أكثر من أن نتأملها لنعرف قدرة الله وعظمته ونؤمن به . ولذلك قال الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾

(الآية ٢٨ من سورة طه)

لماذا حرص الله العلماء بالخشية ؟ لأنهم وهم يبحثون في مخلوقات الله في الأرض يرون أسراراً ودقة حق وإبداع تكوين كان يجب أن يجعلهم أول الساجدين لله أول العابدين لله . ولكن هؤلاء العلماء المادييين بدلاً من أن يفعلوا ذلك ، أخذوا يحاولون انييل من الدين ومن الإيمان .. والإنسان يعتقد أنه وصل إلى أسرار الكون ولكنه في الحقيقة

ثم يصل حتى إلى أسرار نفسه بل به ينتقل من قانون إلى قانون ولا يعرف كيف ينتقل ولا ما هو سر هذا الانتقال

فالإنسان وهو مستيقظ له قوانين ربما عرفنا بعضها ولكنه إذا نام انتقل إلى قانون مختلف تمام مجهول له فهو يخرج من الزمن فالإنسان وهو نائم لا يحس بالزمن فإذا استيقظ فهو لا يعرف كم ساعة نام ولا أن ينظر إلى ساعته ليعرف كم ساعة قضاها وهو غائب عما حوله .

إن قانون الزمن لا يسرى على لنائم فلا يحس بالوقت لماذا ؟ لأن الزمن هو قياس بالأحداث فنحن نقيس الأحداث بالزمن ولنايم هو خارج عن هذه الأحداث

والإنسان إذا نام رأى عيناه مغمضتان ومشى وجرى وقامه لا تتحرك من فوق السرير ، وتحدث ولسانه لم يتحرك ورأى وتكلم مع أوس ينتقل إلى لعالم الآخر منذ سنوات ومع ذلك فهو يحدثهم ويسمعهم وهم يكلمونه ويعهم ما يقولون والعلم خارج هذه المنسقة تمام فلا يستطيع عالم أن يخبر كيف يرى الإنسان وهو نائم أو يتحرك أو يلتقي مع أوس انتقلوا لعالم الآخر وكل ما جاء عن هذا في محاولات أطلق عليها اسم العلم إنما هي تخمينات بلا دليل ومعظمها من الخيال أكثر من الواقع ومع أن كل هذا حدث لكل منا ويحدث كل يوم نجد هناك من يعن بوقاحة ويقول انتهى عصر الدين وجاء عصر العلم وهؤلاء إنما يقولون بهتاناً فإنه هو الكشاف لعباده عن العلم ، هو لقتل في كتابه الكريم

﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٢﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٣﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٤﴾ ﴾

(الآيات ٢ و٣ و٤ سورة العلق)

لماذا لا يؤمنون ؟

ولكن الناس لا يؤمنون رغم أن هناك من الأدلة المادية هي انكون ما لا يعد ولا يحصى تهندي الناس إلى طريق الإيمان وإلى وجود الله . وهؤلاء الذين لا يؤمنون بعضهم منكر للدين لأنه يريد أن يكون هو مصدر التشريع ، لأن منهج الله سبحانه وتعالى قائم على العدل بين الناس وأعطى كل ذي حق حقه وهم يريدون أن يتميزوا وأن يأخذوا حقوق غيرهم . ولا سبيل إلى ذلك إلا أن يضعوا منهاجاً من صنعهم ، يعطيهم كل شيء ويسبب غيرهم كل شيء . ولطريقة الوحيدة لذلك هي أن ينكروا منهج السماء

ولقسم الناس مضل أن يعيش مع النعمة بدلاً من أن يعيش مع المنعم وهؤلاء اناس الذين متعمهم الله سبحانه وتعالى بنعمه في الدنيا لم يفكروا كيف جاءت هذه النعم ولكنهم أرادوا أن يأخذوا من النعم كل ما يستطيعون وأعماهم الطمع لإنساني فلم يفكروا إلا في الحصول على نعمة المال أو نعمة السلطة أو غيرها من نعم الكون وهؤلاء شغلوا أنفسهم بالمادة بدلاً من أن يفكروا فيمن خلق المادة وأخذوا النعم في أنها حق لهم دون أن يبحثوا عن أوجدها فرغم أن قوانينهم المادية التي يؤمنون بها تقول إنه لا شيء يحدث في الدنيا بدون فاعل فلم تجد مثلاً عمارة نشأت هكذا دون أن يكون لها مهندس وعمال وغير ذلك ممن أقاموها . ولم يجلسوا في بيوتهم مثلاً ليجدوا كمية من المال ظهرت

أمامهم فجأة وكل مصباحهم لابد أن يتحركوا لقصبتها
ومع أن قانون المادة يقول إنه لا يوجد فعل بدون فاعل ، فإسهم ثم
يطبقوا هذا القانون على الكون كله بل ادعو أن الكون قد خلق بدون
فاعل ، بعضهم قال حدث هذا بتفاعل المواد !! ولو انصفوا لسألوا
أنفسهم من الذى أوجد المادة أولاً ومن الذى حركها ثانياً ولكنهم تناسوا
هذا السؤال !

وحتى إذا صدمتهم آية من آيات الله تكبروا عليها ولعل هذا واضح
فى العالم الغربى الذى يحاول الفصل بين العلم والدين فصلاً تاماً .
وربما كان السبب فى ذلك هو المعركة ايرهيسة التى قامت بين العلم
والكنسية واستمرت أكثر من قرين وقد كانت لكنيسة تنكر العلم تماماً
استناداً إلى التوراة وهى لكتاب المقدس لليهود، والذى تؤمن به الكنيسة
وما جاء فى التوراة يقول إن شجرة التفاح التى أكل منها آدم هى شجرة
المعرفة وأنه حينئذ أكل آدم التفاحة كشفت له علوم كثيرة فغضب الله
عليه وطرده من الجنة وكانت هذه هى المعصية الأولى التى مازالت
البشرية تعانى منها حتى الآن والناس تكبر عنها بحياتنا فى الأرض
المليئة بالشقاء ولو لم يأكل آدم التفاحة لمعرفه كنا حتى الآن نعيش فى
الجنة

هذه الخرافة المحرفة هى التى أدت إلى المعركة بين الكنيسة والعلم
تلك المعركة التى تعرض فيها العالم الإيطالى جاليليو جاليلى فى القرن
الخامس عشر إلى عصب الكنيسة عندما أثبت بالدلة لمادية كروية الأرض
وأصدرت لكنيسة حكماً بحرقه حيّاً لأنه كفر واضطر العالم لايطالى

أن ينكر ما اكتشفه

ولكن موقف لإسلام مختلف ذلك أن التعاحة التي أكلها آدم هي
منهج الشيطان الذي أظهر عوراته وكشفها كما يظهر تزيين الشيطان
للنفس في الدنيا عورتهم فيكشفها فيصيبهم لحزى والعار

العلم كاشف لقوانين الكون

أما لعلم فالإسلام ينظر إليه على أنه من الله أولاً فله يكشف آياته
في الأرض للإنسان والإنسان يكشف ولا يخلق أو يضع في الكون
قوانين جديدة من صناعه ولكن الله يكشف لمن يشاء قوانين كونه ولكل
قانون وكشف ميلاد فإذا جاء ميلاد كشف لقانون كوني كشفه الله
لمن يبحث عنه من البشر فيعرفونه ويستخدمونه

والله سبحانه وتعالى لدى قال ﴿ علم الإنسان ما لم يعلم ﴾

يجب أن نعرف أن كل علم هو من الله والله سبحانه وتعالى ميز
الإنسان على الملائكة بالعلم ، فقد جل جلاله

﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ
فَقَالَ أَسْمِعُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ ۖ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا
سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ
﴿٣٢﴾ قَالَ يَتَذَكَّرُ أُنثَاهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ
أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ الْغَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا
تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾

(الآيات من ٣١ - ٣٣ من سورة البقرة)

هذا هو موقف الإسلام من العلم وإن كان لكنيسة موقف آخر هي معركة استمرت قرنين كامنين بين لكنيسة والعلماء وعندما انتصر لعلماء عملوا على تصحيح نفوذ الكنيسة بحيث أصبحت لا يخل لها بالعلم ووصلوا الدين عن الدولة إلى خير ما يرويه التاريخ والعلماء في أبحاثهم يحاولون إنكار دور الدين إيماناً بذهبتهم ، فهم يريدون أن يقولوا نحن فعلاً ونحن اكتشفنا كما قال قارون

﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عَمِيدٍ ﴾

(الآية ٧٨ من سورة القصص)

ولذلك فليس هي بابهم الله وسيفحائون بالله سبحانه وتعالى في الآخرة مصداقاً لقوله تعالى

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُوا كُفْرًا بِقِيَعَةٍ بِحَسَنَةِ الظُّلُمَانِ إِنَّهُ خَوٍ
إِذَا كُفَّ بُرْهَانُهُ شَتَا وَوَحَدَهُ اللَّهُ سُدُمٌ فَوَقَّهَ جِسْمَانَهُ وَهُ
سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾

(الآية ٢٩ من سورة النور)

ولا يحسب أحدٌ هؤلاء أسين كفرو ففعلوا ذلك لأن آيات الله لم
بصر إليهم بل الآيات أمامهم ولكنهم هم الذين يتكبرون على الإيمان
ويقول الحق سبحانه وتعالى

﴿ وَمَا تَأْنِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَلَيْهَا مُقِرِّضِينَ ﴾

(الآية ٤ من سورة الأنعام)

ولذلك فإن إعرابهم ليس على أن الدليل لدى على وجود الله غائب عنهم
وبكن لأنهم يرفضون الإيمان أما لتحقيق مصالح دنية وإما لأنهم لا
يؤمنون بالآخرة فيحاولون أن يحددوا كل ما تعطيهم الدنيا على أن هذا
هو كل شيء ويكون المسححة أنهم سيسحبون كل وسائل حلالاً أو
حرام في انصبوب إلى أهدافهم عملاً بمدى أن العاية تسرر لوسية

الإبصار . . كيف يتم ؟

ولو أنهم فكروا قليلاً لوحدوا الآيات في لقران الكريم معجرات ولو
أنهم كانوا علماء وباحثين فعلاً لقرأوا لقران الذي سمعوا عنه
ودرسوا لاسلام دراسة غير معرضة ثم بعد ذلك من شاء فليؤمن ومن
شء فيكفر وبهم مثلاً لو اتفتوا إلى آية انكرية

﴿مَحَوْنَاهُ يَوْمَ الْآزِفِ وَجَعَلْنَاهُ يَوْمَ الْآزِفِ مُصِرَّةً﴾

(الآية ١٢ من سورة الإسراء)

لعرفو الإعجاز في هذه الآفة وحدها وكان لإعجاز فيها كافياً لأن
يؤمنوا بالله سبحانه وتعالى يقول

﴿وجعلنا آية النهار مصيرة﴾

وهكذا وصف الله اسهار بأنه هو المبصر ولكن هل لنهار هو الذي
يبصر أم العين هي التي تبصر ؟ لاى يفهمه من تلقائية الأبصار أن
العين هي التي تبصر وبكن الحقيقة العلمية تختلف فتدثت علمياً
أن ضوء اشمس ينعكس على الاشياء ثم تدخل أشعة النور إلى العين
فنبصر

إن العين لا تنصرف بذاتها ولا بدائيتها . ولكنها تبصر بالضوء الذى
ينعكس على الأشياء الموجودة أمامها ويدخل إلى العين فإذا ذهب هذا
الضوء وجاء الظلام فإن العين لا تبصر ولا ترى شيئاً فى . لظلام الدامس
إلا أن تأتى بمصباح أو مصدر من نور يلقى الضوء على الأشياء فينعكس
على العين فتبصر .

وهكذا نرى دقة تعبير القرآن الكريم فى قوله تعالى

﴿ وجعلنا آية النهار مبصرة ﴾

فالإبصار نسبة الله سبحانه وتعالى لضوء النهار ولم ينسبه إلى العين
ولقد برزت هذه الآية والبشر كلهم لا يعلمون كيف يتم الإبصار ؟ . ماذا
كان يحدث لو تقدم العلم وكشف أن العين تنصرف بذاتها وليس بالانعكاس
الضوء على الأشياء .. أكد فى هذه الحالة نستطيع أن نقرأ فى الصلاة .

﴿ وجعلنا آية النهار مبصرة ﴾

ألم يكن هذا كافياً لهدم قضية الدين من أساسه

ولو أن هذا القرآن ليس من عند الله وأنه من عند محمد عليه
الصلاة والسلام .. فما الذى كان يجعله يغامر بذكر قضية علمية كهذه
القضية قد ثبتت عدم صحتها هيضيع الدين كله . ومن أين له هذه
المعلومات حتى يعرف أن الإبصار يحدث بضوء النهار ؟ . أليس هذا دليلاً
مادياً كافياً للإيمان بالله وللإيمان بأن القرآن منزل من عند الله الخالق
لهذا الكون والعالم بأسرار

الأرض كروية ..

إن القرآن كلام الله المتعدد بنلاوته إلى يوم القيمة ومعنى ذلك أنه لا يجب أن يحدث تصادم بينه وبين الحقائق العسية فى الكون لأن لقرآن الكريم لا يتغير ولا يتبدل ولو حدث مثل هذا التصادم لضاعت مصية الدين كلها . ولكن التصادم يحدث من شيئين عدم فهم حقيقة قرآنية ، أو عدم صحة حقيقة علمية .. فإذا لم نفهم لقرآن جيداً وفسرناه بغير ما فيه حدث التصادم وإذا كانت لحقيقة العسية كاذبة حدث التصادم ولكن كيف لا نفهم لحقيقة قرآنية ؟ سنصرب مثلاً لذلك ليعلم الناس أن عدم فهم الحقيقة القرآنية قد يؤدي إلى تصادم مع حقائق الكون الله سبحانه وتعالى يقوى فى كتابه العزيز

﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾

(من الآية ١٩ من سورة العنر)

والمدة معناه السط . ومعنى ذلك أن الأرض مسرطة .. ولو فهمنا الآية على هذا المعنى لا تهمنى كل من تحدث عن كروية الأرض بالكفر خصوصاً أنت الآن بواسطة سفن ، أعضاء والأقمار الصناعية قد استطعن أن يرى الأرض ، على هيئة كرة تدور حول نفسها نقول إن كل من فهم الآية الكريمة ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾.

بمعنى أن لأرض مسوطة لم يفهم الحقيقة لقرآنية التى ذكرتها هذه الآية الكريمة ولكن المعنى بجمع الإعجاز اللغوى والإعجاز العلمى معاً ويعطى لحقيقة الطاهرة للعبى والحقيقة العسية المختفية عن العقول فى وقت نزول القرآن

عندما قل الحق سبحانه وتعالى

﴿والأرض مبدناها﴾

أي سطّح أمال أي أرض ٩ لا لم يحدد أرضاً بعينها بل
 قل الأرض على إطلاقه ومعنى ذلك من إذا وصفت إلى أي مكان
 سمي أرض تراه أمامك ممدودة أي منبسطة فإذا كنت في خط
 الاستواء فالأرض أمامك منبسطة وإذا كنت في القطب
 الجنوبي أو في لقطب الشمالي أو في أمريكا أو أوروبا أو في أفريقيا
 أو آسيا أو في أي بقعة من الأرض فأنك تراها أمامك منبسطة ولا
 يمكن أن يحدث ذلك إلا إذا كانت الأرض كروية فلو كانت الأرض مربعة
 أو مثلثة أو مسدسة أو على شكل هندسي آخر فإنيك تصل فيها إلى
 حافة لا ترى أمام الأرض منبسطة ولكنك ترى حافة الأرض
 ثم الفضاء

ولكن الشكل الهندسي لوحد الذي يمكن أن تكون فيه الأرض ممدودة
 هي كل بقعة تصل إليها هي أن تكون الأرض كروية حتى إذا بدأت من
 أي نقطة محددة على سطح الكرة الأرضية ثم ظننت سير حتى عدت إلى
 نقطة البداية فإنيك طول مشوارك حول الأرض ستراه أمامك دائماً
 منبسطة ومدام الأمر كذلك فإنيك لا تسير في أي بقعة على الأرض إلا
 وت تراها أمامك منبسطة

وهكذا كانت الآية لكريمة

﴿والأرض مبدناها﴾

لقد فهمها بعض الناس على أن الأرض مبسوطة دليل على كروية الأرض ، وهذا هو الإعجاز فى القرآن الكريم . يأتى باللفظ الواحد ليناسب ظاهر الأشياء ويدل على حقيقتها الكونية .

ولذلك فإن الذين أساءوا فهم هذه الآية الكريمة وأخذوها على أن معناها أن الأرض منسطة .. قالوا هناك تصادم بين الدين والعلم والذين فهموا معنى الآية الكريمة فهماً صحيحاً قالوا إن القرآن الكريم هو أول كتاب فى العالم ذكر أن الأرض كروية . وكانت هذه بحقيقة وحده كافية لأن يؤمنوا . ولكنهم لا يؤمنون

الليل والنهار وجداً معاً

فى قرآن الكريم لم يأت بالدلائل التى تؤكد أن الأرض كروية هى بة واحدة بل جاء بها فى آيات متعددة . لماذا ؟ لأن هذه القضية كونية كبرى . ولأن الكتب القديمة التى أنزلها الله قبل القرآن الكريم قد حرفت بشراً . فتوجدت تصادماً بين الدين والعلم . ولذلك يأتى القرآن الكريم ليعطينا الدليل تلو الدليل على كروية الأرض

بقول الله سبحانه وتعالى

﴿ لَا الشَّمْسُ يَسْعَىٰ هَآءَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا الَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾

(لآية ٤٠ من سورة يس)

الله سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة يرد على اعتقاد غير صحيح كان موجوداً عند العرب وقت نزول القرآن وهو أن الليل يأتي أولاً ثم بعد ذلك يأتي النهار .. أي أن النهار لا يسبق الليل ويجرى الحق ليصحح هذا الاعتقاد الخاطئ فيقول

﴿ولا الليل سابق النهار﴾

أي أنكم تعتقدون أن النهار لا يسبق الليل .. ولكن الله يقول لكم إن الليل أيضاً لا يسبق النهار ومعنى أن النهار لا يسبق الليل وأن الليل لا يسبق النهار أنهما موجودان معاً على سطح الكرة الأرضية . وحيث إنه لم يحدث تغيير في خلق الكون أو في القوانين الكونية العليا بعد أن تم الخلق بل بقيت ثابتة تسير على نظم دقيق حتى قديم الساعة . ولو كانت الأرض على شكل هندسي آخر مربع أو مثلث أو غير ذلك . لكان في ساعة الخلق وجد النهار أولاً ولكن لا يمكن أن يوجد الليل والنهار معاً في وقت واحد على سطح الكرة الأرضية .. إلا إذا كانت الأرض كروية .. فيكون نصف الكرة مضيئاً والنصف الآخر مظلماً . ولكن الله سبحانه وتعالى أراد أن يؤكد هذا المعنى فذكر آية أخرى تحدد معنى كروية الأرض ويدبرها فقال جل جلاله

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَيْلٍ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنۢ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ

شُكُورًا ﴿٦٢﴾﴾

(الآية ٦٢ من سورة الفرقان)

ما معنى خلفه ؟ . معناها أن الليل والنهار يخلف كل منهما الآخر فمثلاً في الحراسات المستمرة . تأتي نوبة حراسة لتخلف نوبة سبقتها ثم تأتي النوبة الثالثة لتخلف الثانية وهكذا .

وإذا فرضنا أن مصنعاً يعمل أربعاً وعشرين ساعة متوالية فإنه يكون هناك أربع ورديات تخلف كل منهما الأخرى .. ولكننا لابد أن نتنبه إلى أنه في كل هذه النظم ، لابد أن تكون هناك ورديّة هي التي بدأت ولم تخلف أحداً . فإذا قررنا وضع الحراسة على مكان فإن الورديّة الأولى التي تبدأ الحراسة لا تخلف أحداً لأنها البداية . وإذا بدأنا العمل في المصنع فإن الورديّة الأولى التي افتتحت العمل لم تخلف أحداً لأنه لم يكن هناك في المصنع عمل قبلها .

وهكذا في كل شيء في الدنيا يخلف بعضه بعضاً .. تكون البداية دائماً وليس هناك شيء قبلها تخلفه . ولكن الحق سبحانه وتعالى قال

﴿ هو الذي جعل الليل والنهار خلفه ﴾

ومدام الله هو الذي جعل فلان ذلك قد حدث ساعة الخلق متوجداً الليل والنهار خلفه على الأرض . ولكننا كما أوضحنا فإن ساعة البداية في كل شيء لا يكون فيها خلفه أي لا يخلف شيء شيئاً قبله .. فهذه هي البدايات .. ولكن الله يقول لنا : إنه في ساعة البداية كان الليل والنهار خفية . إذن فلان أن يكون الليل والنهار قد وجداً معاً ساعة الخلق على الأرض . بحيث أصبح كل منهما خلفه للآخر . ثم يأت النهار أولاً ثم خلفه الليل . لأنه في هذه الحالة لا يكون النهار خلفه بل يكون بداية ولم يأت الليل أو لا ثم يخلفه النهار لأنه في هذه الحالة لا يكون الليل خلفه بل يكون بداية .. ولا يمكن أن يكون الليل والنهار كل منهما خلفه للآخر إلا إذا وجداً معاً .

ونحن نعلم أن الليل والنهار يتعاقبان علينا هي أي بقعة من بقاع الأرض . فلا توجد بقعة هي نهار دائم بلا ليل . ولا توجد بقعة هي ليل دائم بلا نهار . بل كل بقاع الأرض فيها ليل وفيها نهار . ولو أن الأرض ثابتة لا تدور حول نفسها . ووجد الليل والنهار معاً ساعة الخلق فس يكونا خلفه ولن يخلف أحدهما الآخر . بل يظل الوضع ثابتاً كما حدث ساعة الخلق . وبذلك لا يكون النهار خلفه لليل ولا الليل خلفه للنهار .

ولكن لكي يأتي الليل والنهار يحط كل منهما الآخر . فلا بد أن يكون هناك دوران للأرض لتحداث حركة تعاقب ليل والنهار . فثبتت الأرض منذ بداية الخلق لا يجعل الليل والنهار يتعاقبان . ولكن حركة دوران الأرض حول نفسها هي التي يستجيب عنها هذا التعاقب أو هذه الخفة التي أحسنا الله سبحانه وتعالى بها .

من مفعول لحق سبحانه وتعالى ﴿وجعلنا الليل والنهار خلفه﴾ .

يحمل معنيين . المعنى الأول أنهما جنفا معاً فلم يسبق أحدهما الآخر وهذا إخبارنا من الله سبحانه وتعالى بأن لأرض كروية . والمعنى الثاني أن لأرض تدور حول نفسها . وبذلك يتعاقب الليل والنهار .

معنى .. كروية الأرض

وهكذا يرى لإعصار لقراي عالمنا هو الله وحائق هو الله والمتكلم هو الله . فحاء في حراء من آية قرينة بحسبنا إن لأرض كروية وأنها تدور حول نفسها . ولا يسمح معنى هذه الآية لكرمة إلا بهاتين الحقيقتين معاً . هل يوحد أكثر من ذلك دليل مادي على أن الله هو خالق هذا الكون ؟

ثم يأتي الحق سبحانه وتعالى لسؤكد المعنى في هذه الحقيقة الكونية
لأنه سبحانه وتعالى يريد أن يرى خلقه آياته فيقول

﴿ خَلَقَ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهْرِ
وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ
كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ۝ ﴾

(الآية ٥ من سورة الزمر)

وهكذا يصف الحق سبحانه وتعالى بأن الليل والنهار حلف على هيئة
التكوير. وبما أن الليل والنهار وحدا على سطح الأرض معاً فلا يمكن أن
يكوا على هيئة التكوير إلا إذا كانت الأرض نفسها كروية. بحيث
يكون نصف الكرة مظلماً ونصف الآخر مضئاً وهذه حقيقة قياسية
أخرى تذكر لنا أن نصف الأرض يكون مضئاً والنصف الآخر مظلماً

فلو أن الليل والنهار وحدا على سطح الأرض غير متساويين في
لمساحته بحيث كان أحدهما يبدو شريطاً رفيعاً في حين يعطى الآخر
معظم المساحة، ما كان لأشراق معاً على هيئة كرة لأن الشريط الرفيع
في هذه الحالة سيكون في شكل مستطيل أو مثلث أو مربع أو أي شكل
هندسي آخر حسب المساحة التي يحتلها فوق سطح الأرض وكان من
الممكن أن يكون لوضع كذلك باختلاف مساحة الليل والنهار ولكن قوله
تعالى ﴿ يَكُوِّرُ اللَّيْلُ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارُ عَلَى اللَّيْلِ ﴾

دليل على أن نصف الكرة لأرضية يكون ليلاً ونصف الآخر نهاراً
وعند تقدم العلم وصعد الإنسان إلى الفضاء ورأى الأرض وصورها

وجدنا فعلاً أن نصفه مضي ونصفها مضم كما أخبرنا الله سبحانه وتعالى

هَذَا أَرَدْنَا دَلِيلًا آخَرَ عَلَى دَوْرَانِ الْأَرْضِ حَوْلَ نَفْسِهَا لِأَنَّا نَلْقَى إِلَى آيَةِ الْكَرِيمَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى

﴿ وَنَرَى الْجِبَالَ تَحْسِبُهَا جَمْدًا وَهِيَ تَمُورُ مَرًّا مَحَابٍ حُسْبَعِ اللَّهِ الَّذِي أَنْقَضَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾

(الآية ٨٨ من سورة النمل)

عندما نقرأ هذه الآية ونحن نرى أمامنا الجبال ثابتة جامدة لا تتحرك نتعجب ، لأن الله سبحانه وتعالى يقول ﴿ تحسبها جامدة ﴾ .

ومعنى ذلك أن رؤيتنا للجبال ليست رؤية يقينية ، ولكن هناك شيئاً خلقه الله سبحانه وتعالى وحفى عن أنصارنا فمادامنا نحسب فليست هذه هي الحقيقة أى أن منراه من ثبات الجبال وعدم حركتها ليس حقيقة كونية وإنما إتيقان من الله سبحانه وتعالى وملاقة قدرة منه بأنه خلق شيئاً جعلنا نراه على غير حقيقته وتلك طلاقة قدرة الخالق لأن الجبل ضخيم كبير بحيث لا يخفى عن أى عين فلو كان حجم الجبل دقيقاً لقلنا لم تدرك أنصارنا كما يجب أو أننا أدق حجمه لم نلتفت إليه هل هو متحرك أم ثابت ولكن الله خلق الجبل ضخماً يراه أقل الناس إبصاراً حتى لا يتحجج أحد بأن بصره ضعيف لا يدرك الأشياء الدقيقة وهي نفس الوقت قال لنا أن هذه الجبال الثابتة تمر أمامكم من السحاب

ولماذا استخدم الحق سبحانه وتعالى حركة السحب وهو يصف لنا تحرك الجبال ؟ لأن السحب يستلها ذتية لحركة ، فهي لا تتحرك من

مكان إلى آخر بقدرتها الذاتية بل لا بد أن تتحرك بقوة تحرك الرياح .
ولو سكنت الريح لبقيت ، لسحب في مكانها بلا حركة وكذلك الجبال

الله سبحانه وتعالى يريدنا أن نعرف أن الجبال ليست لها حركة ذاتية .
أي أنها لا تنتقل بذاتيتها من مكان إلى آخر فلا يكون هذا جبل في
أوروبا ، ثم نجده بعد ذلك في أمريكا أو آسيا . ولكن تحركها يتم بقوة
خارجة عنها هي التي تحركها . وبما أن الجبال موجودة فوق الأرض
فلا توجد قوة تحرك الجبال إلا إذا كانت الأرض نفسها تتحرك ومعها
الجبال التي فوق سطحها

وهكذا تبدو الجبال أمامنا ثابتة لأنها لا تغير مكانها . ولكنها في نفس
الوقت تتحرك لأن الأرض تدور حول نفسها والجبال جزء من الأرض ،
فهي تدور معها تماماً كما تحرك الريح لسحاب . ونحن لا نحس بدوران
الأرض حول نفسها ، ولذلك لا نحس أيضاً بحركة الجبال

وقوله تعالى ﴿ وهي تمر من السحاب ﴾

معناها أن هناك فترة زمنية بين كل فترة تمر فيها . ذلك لأن السحاب
لا يبقى دائماً بل تأتي فترات ممطرة وفترات جافة وفترات تسطع فيها
الشمس . وكذلك حركة الجبال تدور وتعود إلى نفس المكان كل فترة .

وإذا أردنا أن نمضي فالأرض مليئة بالآيات . ولكننا نحن الذين لا
ننتبه . وإذا نبه أحد فإن الكفار يعرضون عن آيات الله تماماً كما
حدث مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال له الكفار في قوله
نعالى

﴿ وَقَالُوا لَا تَنْفِرْ لَكَ حَتَّى تَفْخَرْنَا مِنْ الْأَرْضِ بِشَيْءٍ ۖ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّحِيلٍ وَعَسَىٰ فَتُنَجِّرَ الْأَنْهَارَ حُلُلًا فَتَفْجِيرًا ۖ أَمْ أَزِ تَسْقُطُ السَّمَاءُ كَمَا رَعِمَتْ عَلَيْكَ كَسَفًا أَوْ تَأْتِي بِاللَّهِ وَالْعَلَمِينَ كَذِبًا ۖ قِيلَ ۖ ﴾

(من الآيتين ٩ و ١٠ من سورة الإسراء)

وكان كل هذا معاصرة منهم لأن آيات لنبي نزلت في القرن الكريم فيها من المعجزات الكثير الذي يحجبهم يؤمنون

السير في الأرض

والجغرافيا الكونية في القرآن الكريم مولى و آيات هو آيات نرسا إعمار الخلق ودقة إخبار الخالق لنا عن أسرار السموات و الأرض لله سبحانه وتعالى يقول

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ ظُرُّوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ۖ ﴾
(الآية ١١ من سورة الأنعام)

عندما نزلت هذه الآية للكرامة أحسن معارف على أناس سير في أنحاء الأرض ولم ينته إلى الحقيقة وهي أننا نسير على الأرض أي فوق سطحها وليس في بطنها فكيف يقول لك الحق ﴿ سيروا في الأرض ﴾

ولما لم يقر سبرو على الأرض ثم تأتي لحقيقة العلمية وهي أننا فعلا نسير في الأرض وليس على الأرض لأن هناك علاقا جواً محيط بالأرض وهو جزء منها ونحن لا نخرج من الأرض إلا إذا خرجنا من هذا الغلاف الجوي

فالمطائرات التى تطير على ارتفاعات مختلفة تطير فى الأرض وليس خارج الأرض .. ولكن الذى يخرج من الأرض هى سفن الفضاء التى تتجاوز الغلاف الجوى للأرض ويدون تجاوز هذا الغلاف لا تستطيع أن ترى صورة الأرض كاملة لأنك ما دمت قد أصبحت خارج الشئ تتضح أمامك بصورة فأنت خارج عمارة مثلاً تستطيع أن تعرف شكل العمارة ولكنك من داخلها ومن أى مكان فيها لا تستطيع أن ترى الصورة كاملة

وعلى أية حال فإنه علمياً أنت لا تكون خارج الأرض إلا إذا خرجت من الغلاف لجوى محيط بها لأن الأرض ولغلاف الحوى شئ واحد

وقوله تعالى ﴿سيروا فى الأرض﴾

يجعلنا يتساءل أين سير ؟ نحن نسير حقيقة على سطح الأرض ولكنك نسبر فى الأرض أى بين سطح الأرض ولغلاف الحوى فما تحتنا هو أرض وه فوقه هو جزء مكمل للأرض ، هو لغلاف الحوى وهكذا يرى دقة تعبير القرآن الكريم فى وصفه لحركة الإنسان فى الأرض

وإذا كان هذا الوصف يعطيه معمره فإن الأرض نفسها تعصيا معمرة أخرى

نحن نرى ونمشى فى مزارع الأرض وحدائقها وبرى أمامنا الأشجار المختلفة والنباتات المختلفة ولكن هل نفكر أحداً من فى معمرة لحق فى هذه النباتات التى نراها كل يوم نحن نعرف أن النباتات نحصل على غذائها بواسطة جذورها بشعيرة دقيقة التى تصرب فى الأرض فتأخذ منها عناصر بعد : لتى يعطيها نمو وإثمار هذه لأشجار كيف تتغذى ؟

يقول العلماء إن الغذاء يصعد من جذور النباتات إلى الساق والأوراق والثمار ليحديها بواسطة ما يسمى بالضغط الاسموري ، أو نظرية الانابيب الشعرية ويدلّون على صحة نظريتهم بأنهم يتّون بإناء واسع ويصعون فيه أنابيب شعرية فنرى الماء يصعد فيها .. وهكذا أراد العلم أن يههما أن العملية فيها ميكانيكية الغذاء دون أن يكون فيها آيات انصق وعجاز الخالق

نقول إن هذا لتفسير العلمى قد أوضح شيئاً وغابت عنه أشياء . فالماء يصعد معلا في هذه الأنابيب لشعرية ولكنه يصعد بكل محتوياته فالأنابيب الشعرية لا تميز بين عناصر الماء فتأخذ عنصراً وتترك عنصراً ولكن في النبات . الأمر يختلف تماماً

الشجر .. ومعجزة الخلق

فالغذاء في الأرض بعناصره كله واحد متجانس . ولكن يرى كل شجرة تأخذ من هذا الغذاء ما يناسب ثمارها أي أنها تختار العناصر اللازمة لها . وتترك الباقي ولا تأخذه . لذلك نرى الزرع ينبت في مكان واحد ويسقى بماء واحد . ولكن كل ثمرة لها طعم وشكل ولون ورائحة وحجم يختلف عن الأخرى فهذه حلوة وهذه مره وهذه صغيرة وهذه كبيرة وهذه لونها أحمر وتلك لونها أصفر والثالثة لونها أبيض وهذه لها رائحة نفاذة وتلك ليس لها رائحة أشكال وألوان مختلفة وكل شجرة من هذه الأشجار تأخذ من لأرض ما يناسبها من عناصر التكوين الدقيق لها بكل تفاصيله وتترك الباقي . ونرى شجرة التفاح ثمرها حلوة ورائحتها نفاذة وبجانها الليمون طعمه حامض وبجانها

الحنظل طعمه مر وثمره ناكلها وتترك ما بداخلها مثل الشمس واخوخ والبيع وثمره ننزع غلافها ولا ناكله ولكننا نرمسه كالبرتقال و البطيخ . وثمره لها غلاف هش كالبرقوق مثلاً وثمره غلافها جامد قوى لا تستطيع أن تنزعه بيدك كالحوز واللوز والندق وجوز الهند وثمره صالحة لتخزين أياماً أو أسابيع كأنواع من البطيخ . وثمره صالحة للتخزين شهوراً طويلة كالجوز واللوز .

وأستطيع أن أمضى بلا نهاية فى وصف أنواع الثمر المختلفة التى تتبثها الأشجار .. ولكننى أفضل أن أذكر الآية الكريمة التى يقول فيها الحق سبحانه وتعالى .

﴿ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَةٌ وَجَعَتُ مِنْ أَعْنَبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ وَعِجْرٌ صِنَوَانٌ يُسْقَى بِمَاءٍ وَجِدٍ وَنُفِصِلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾

(الآية ٤ من سورة الرعد)

ونص نمر على الجنات الموحسوبة فى كل أنحاء الأرض ونرى هذه الآيات . ثم بعد ذلك فتساءل أين الدليل المبدى على أن الله هو الخالق سبحانه يربى لقائل

﴿ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿١﴾ ﴾

(الآية ١ من سورة الأنعام)

وصدق الله العظيم فى قوله تعالى . ﴿ قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ ﴿٧﴾

(الآية ١٧ من سورة عبس)

الفصل الخامس:

الأدلة الحارِية

لكون ملء بآيات العلم التي
تدل على وجود الله - وليس
معنى ذلك أننا ستتبدل على
صحة القرآن بالعلم - بل إن
القرآن هو المهيمن والمسيطر
وهو الحق ومع العلم لا
كاشف لقدرة الله في الكون
فما جاء به القرآن بحسبؤمن
به إيماننا عيبيا لا يرقى إليه
أى شك ولا نريد عليه دليلا

لأن دليلنا وبقيننا أن الله هو الذي قال ، ولكننا نكتب هذا الكتاب لنرد على غير المؤمنين .

ولذلك فنحن نأتى بالحجة والدليل المادى مما لا يستطيعون أن يربوا عليه ونحن لا نقدر أن نحيط بكل آيات الله فى الكون . ذلك أن يات الله أكثر من أن يحيط بها بشر مهما كانت قدرته وعلمه .

وفى جولة تشمل الكون المحيط بنا وحسب قدرات البشرية .. سنثبت أن لله آيات ومعجزات ذكرت فى القرآن الكريم . واعترف غير المؤمنين أنه لا يمكن أن يكون منزل هذه الآيات إلا الله سبحانه وتعالى .. ولذلك فإسما سنحوب الكون لنعطى مثلاً واحداً من عدة أمكن فى خلق الإنسان آيات وفى الجبال آيات وإذا صعدنا إلى السماء وجدنا آيات . وإذا نزلنا إلى باطن الأرض كانت هناك آيات وإذا غصنا فى أعماق البحار كانت هناك آيات كل هذا موجود نحن سنعطى ثلثات لأننا إذا أردنا أن نحيط بكل شيء فنحن نحتاج إلى مجلدات كثيرة

وكما قلت فإن أى تصادم بين القرآن والعلم لا يمكن إلا أن تكون النظرية العلمية خاطئة أو يكون فهمنا للقرآن غير سليم وقد تحدثنا عن ذلك فى الفصل السابق .

الله سبحانه وتعالى قال فى كتابه الكريم

﴿ سَتَرِيهِمْ ءَايَاتِي فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾

(الآية ٥٣ من سورة فصلت)

ومعنى سنريهم .. أى سيرون رؤية عين . ورؤية يقين .. ومعنى قوله

تعالى ﴿ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾

هو ان الذين سبّروا عمر مؤمنين ولا لو كانوا مؤمنين لعرفوا أنه الحق ولما احتاحوا إلى هذا الدليل المادي ولذلك فإن عددا من غير المؤمنين سكتشف الله لهم عن آياته في الكون فلا يستطيعون أن ينكروا أنها من عند الله ولا يستطيعون أن ينكروا ويقولوا أن هذا من عند أي بشر ولا يستطيعون أن يدعوا أنها لمصادفة ولا يمكنهم إلا أن يعترفوا ويمكنهم لا يؤمنون .

ولقد احترق في هذا لفصل أقوال عدد من العلماء الغربيين كلهم قبل أن يبدأوا الحديث قالوا إيت عماء لا تصدق إلا ما ترى ولا تتعامل إلا مع الأشياء المادية البحتة ولقد تجسست الحديث عما قاله عماء مسمون ولهم كشفهم العلمية وبعضهم يعيش في لعرب وله مكانته العلمية ذلك أن الإنسان المؤمن متدفع بحمس الإيمان إلى أن يصل إلى نتائج لأنه يجب أن يظهر إعجاز القرآن وفيه حمس لأن يجعل غيره يؤمنون ولذلك استبعدت كل ما قالوه . وأخذت من أقوال الذين بدأوا حديثهم بأنه لا علاقة بين العلم والدين بل ادعوا أنهم نقضان لا بستان

فالعلم يتحدث عن أشياء واقعية ترى وتشاهد والدين يتحدث عن أشياء غيبية يؤمن بها الناس وكان هذا في رأيهم هو نقطة عدم الالتقاء ولكن نقول لهم انه لا إلزام عليكم فأنتم غير مؤمنين تستطيعون أن تقولوا إن ما جاء في القرآن يختلف مع العلم ذلك أنه لا حرج عليكم فيما تقولون وأنتم لم تخافوا صمائمكم ونحن على يقين من أن الله سبحانه وتعالى هو خالق الكون . وأن القرن الكريم هو كلام الله . وقد تكلم الخلق عن كونه فهو أعلم منا جميع

معجزة الجنين أذهلت العالم

هذه أردنا أن نبدأ بمعجزة لجنين وما ذكر عنها في القرآن الكريم منذ أكثر من أربعة عشر قرناً وما كشفه العلم يقينا وصوره وعرض علينا صوره إن علم الأجنة لم يعرفه العالم بشكل واضح إلا في القرن العشرين ففي القرن السابع عشر كان العلم يقول الإنسان يخلق خلقاً كاملاً في الحيوان المنوي للرجل على صورته الإنسانية أي أنت إذ أخذت الحيوان المنوي واستطعت أن تكبره وجدت فيه لإنسان بكل بهصيله مخلوقاً خلقاً كاملاً أي أن الإنسان لا يخلق على أطوار في بطن أمه بل يحق مرة واحدة .

ولكن في القرن الثامن عشر تغيرت الصورة عندما اكتشفوا بويضة المرأة وركز العلم على دور المرأة في الحمل وأهملوا دور الرجل وقالوا إن بويضة المرأة هي التي فيها الإنسان الكامل لأنها الأكبر وأن نطفة الرجل هي مجرد عملية تلقح فقط لا غير وظل هذا الرأي سائداً حتى القرن العشرين وجاء العلم الحديث ليغير الصورة تماماً .. ويعطينا صورة جديدة للجنين في بطن أمه ، ويأتي بصورتك ذلك حتى إن العملية أصبحت أمراً يقينياً لأنه يمكن تصوير الجنين وهو يتطور وينمو في بطن أمه

وكان للقرن الكريم في هذا كلمة ذلك أن القرآن جاء بوصف دقيق لأطوار الجنين منذ أربعة عشر قرناً يوم أن كانت الدنيا كلها بكل من فيها وما فيها لا تعرف شيئاً عما في بطن الأم . ويذكر القرآن لهذه الآيات لا يمكن أن يأتي إلا إذا كان هذا القرآن منزلاً من عند الله

ومحمد النبي لأمي صلى الله عليه وسلم لم يكن يملك من العلم
البشرى شيئاً وحتى لو كان يملك فم يكن علم البشر يعرف شيئاً
وكما قلت فإن المخاطرة بذكر شيء عمنى في القرآن لا يمكن أن يقدم
عليها بشر . لماذا ؟ لأن القرآن هو كلام الله الذي لا يتغير ولا يتبدل
والمتعبد بنقله إلى يوم القيامة فكيف يكون موقف الدين . وموقف
المسلمين إذا ذكر في القرآن شيء يمس العلم البشرى ثم جاءت
الأبحاث وتقدمت العلوم واكتشفت أن هذا غير صحيح ؟ كانت ستصيح
قضية الدين كله وما الذي يجعل محمد صلى الله عليه وسلم يخوض في
هذه الأشياء التي كانت لشريعة كلها تجهلها فيتطوع بإعطاء أعداء
الدين ما يهدمونه به .

خلق الجنين في القرآن

ماذا قل القرآن الكريم عن أطوار الجنين ؟ قال الله سبحانه وتعالى

في كتابه العزيز

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْءَةً فِي
قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٤﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا نُطْءَةً عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً
فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ
خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٥﴾﴾

(الآيات من ١٢ - ١٤ من سورة المؤمنون)

فإذا بدأنا بهذه الآية تفصيلاً فهي تذكر أولاً أن خلق الإنسان من
طين ومعنى ذلك أنها حددت المادة التي خلق منها الإنسان وهي الطين

واطين موجود في كل مكان في الأرض ولعماء أخذوا اطين وحسوه
فوجدوه يتكون من ثمانية عشر عنصرا منها الحديد و سوتسيوم
والعسسيوم وغير ذلك من مواد ثم درسوا جسم الإنسان فوجدوه يتكون
من نفس هذه المواد وهي اثمانية عشر عنصرا التي يتكون منها بطر
وهكذا جاءت الحقيقة الأولى حقيقة مشاهدة معممة لا تخصم للحدال
ثم بدأ القرآن في وصف خلق الإنسان في بطر أمه فتقول آية لكرمة
﴿ ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خفنا النطفة علقا ﴾

وقرر انكب هو رحم الام ثم تأتي مسألة لعققة ورسول الله
للرؤفيسور لكسي كيث ل مور وهو من اشهر عماء امم في علم
الأجنة ورئيس قسم استشرىح و لاجه بحمعه يوريتو كنك و رشه
لأجنه بكدي الأمريكى لعنه لاجه وله عدة كتب مترجمه لي ثر
لغات وهر الحائز على اشارة الأولى في اعلم عن كنه علم الاجنة
هذه الحائرة التي تعطى لأحسن الكتاب بأيف

قال الدكتور كيث ل مور إن الجنين عندما يبدأ في نمو في رحم
أمه يكون شكله يشبه لعق أو لودة وعرضي صورة بالأشعة لسدانه
حق الجنين ومعها صورته بلعقة فظهر انشابه وصفه لثني
ولما قيل له إن لعقه عند عرب معناها اسم بمحمد فقل وقال إن
ما ذكر في القرآن ليس وصف دقيق فقط لشكل الجنين الخارج و لكنه
وصف دقيق لتكوينه فاب أنه في مرحلة لعقه يكون أدماء محبوس في
العروق الدقيقه في شكل اسم لمحمد

هكذا حثنا إلى المرحلة الثانية في قوله تعالى ﴿فَخَلَقْنَا الْعِلْقَةَ مَضْغَةً﴾
 نعلم أن القرآن الكريم جاء بالوصف الدقيق فعندما عرضت صورة
 الأشعة المأخوذة للجنين وهو في مرحلة المضغة ، وصورة قطعة من
 الصلصال أو اللين الممضوغ نجد لشكل واحدا ، ثم أظهرت صورة
 لأشعة استى لتقطت لجنين في مرحلة المضغة وأن فيها تجويفات تشبه
 علامات الأسنان بل إن الله سبحانه وبعالي قد تجاوز مرحلة لشكل
 الخارجى إلى لتكوين الداخلى ، فقال جل جلاله

﴿مُضْغَةً مُخَلَّقَةً وَغَيْرَ مُخَلَّقَةٍ﴾

(من الآية ٥ من سورة الحج)

وعندما حىء بالمضغة الآمية من بطن الأم وطولها سنيمتر واحد
 وتم تشريحها تحت ميكروسكوب الالكترونى وجد أن بعض أجهزة
 حيين بدأت تتحلى وبعضها لم يتخلق ، ولو أن القرآن الكريم قال مضغة
 مخلقة لكن ذلك لا يطبق على حقيقة التكوين لأن فيها أحرأ غير
 مخلقة

دقة التعبير القرآنى

ولو قال القرآن الكريم مضغة غير مخلقة ، لكن ذلك لا يطبق حقيقة
 لتكوين لأن فيها أحرأ مخلقة ولكن الوصف الدقيق الوحيد الذى
 يطبق على المضغة هو قوله تعالى ﴿مُضْغَةً مُخَلَّقَةً وَغَيْرَ مُخَلَّقَةٍ﴾ .

ولقد عرض لعالم الكندى كل أطوار الجنين في بطن أمه ، والتي
 التقطت بأحدث الأجهزة العلمية ، وهذا هو تنطق تماما على كل ما ذكر
 في القرآن الكريم من مراحل تكوين العظام والحم إلى غير ذلك

ولنا قيل للدكتور كيثل مور هل كان من الممكن أن يعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه التفصيلات عن أطوار الحدين ؟ قال مستحيل إن العلم كه في ذلك الوقت لم يكن يعرف أن ، لصدين يخلق أطوار مما دلكم بتحديد مراحل هذه لأطوار التي لم يستطع لعلم حتى الآن أن يحدده بهذه السهولة والدقة بل إن ، لعلم لم يستطع حتى الآن تسمية أطوار الجين ، س أعطها أقرب بشكل معقد غير مفهوم في حين جاءت في القرآن بأسماء محددة وبسيطة وغاية في الدقة يتضح لي أن هذه الأدلة حتما جاءت لمحمد من عند الله وهذا يثبت لي أن محمد رسول الله فقيل له بعد أن قلت ما قلت أفلا تسلم ؟ . مقال إنه مستعد أن يضع في لطبعات المقدمة من كتبه إشارة إلى ما سمعت واقد قرىء معنى الآيات التي جاءت في القرآن الكريم على أكبر عماء الأجبة في العالم . فلم يحرق واحد منهم أن يدعى أن هناك تصادما بين ما جاء في القرآن الكريم وأحدث ما وصل إليه العلم

النطفة .. والوراثة

ولكن أحدهم أشار أن اوراثة أو البرنامج الوراثي للإنسان يوجد في نطفة الرجل ويتحدد فيها تفاصيل الإنسان الذي سيولد أنكر أم أنتى ما هو لون لعينين ولون لجلد ولون الشعر إلى اخره أى أن الإنسان تكون صفات خلقه موجودة في شفرة خاصة في نطفة الرجل فلما قرئت عليه الآية الكريمة

﴿ قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا ۖ أَنذَرْتُكُمْ يَوْمَ الْخَلْقِ ۚ ﴿١٧﴾ مِّنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقْتُمُ ۖ ﴿١٨﴾ مِّنْ نُّطْفَةٍ خَلَقْتُمُوهُنَّ ۖ ﴿١٩﴾ ﴾

(الآيات ١٧، ١٨، ١٩ من سورة هجس)

قال لا يمكن أن يكون هذا إلا من عند الله

هذه لأبحاث كلها لتي ذكرتها وشهادت لعلماء مدوبة ومسحة بالصوت والصورة هي المؤتمرات المتعقبة عن إعجاز في القرآن الكريم وهي مؤتمرات عقدت في الدول إسلامية المختلفة ويستطيع كل من يريد أن يرجع إلى هذه لأشرطة ويشاهد هؤلاء العلماء وهم يتحدثون ويتكلمون من إن عالم منهم شهر إسلامه ، وشهد أنه لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله أمام محاضرين في أحد هذه المؤتمرات وهو البروفيسور السلاوي باحث باحس وهو من أكبر علماء العلم في علم ، شريح وذلك عندما كان يحدث عن الأعصاب وكيف أنها موجودة تحت الجلد مباشرة بحيث إذا حترق الجلد انتهى الإحساس بالألم تماما والله سبحانه وتعالى يقول عن أهل النار

﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ نَدَّ لَهُمْ جُلُودٌ أُخْرَىٰ لَهُمْ لِيَذُوَقُوا الْعَذَابَ﴾

(الآية ٥٦ من سورة النساء)

ذلك أن الحق سبحانه وتعالى يريد أن يلفتنا إلى أن عذاب النار عذاب دائم ومستمر لا يخف ولا يتوقف ولما كان في عمة سبحانه وعاني وهو الحارق أن الصور إذا حترقت تنهي إحساس الإنسان بالألم فلها أن حو لها سر كلما حترقت ملهم لله حلوها غيرها ليستمر شعورهم بالعذاب

قدرة القرآن في الحاضر والمستقبل

وعندما عرض معنى هذه الآيات على البروفيسور باحس باحس قال هذا الكلام قديم منذ أربعة عشر قرناً ؟ قالوا نعم قال إن هذه الحقيقة لم يعرفها العلم إلا حديثاً ولا يمكن أن يكون قد نزلها بشر إلا

هي من الله سبحانه وبعاني حزن لوقت لأن أشهد أن لا إله إلا الله وأن
محمدًا رسول الله

ولأن أن يتأمر هي هذه الآية الكريمة

﴿ كلما نضجت جلودهم بدلناهم جودا غيرها لينوقوا العذاب ﴾

هذا كسر يمكن أن يحدث لو أن الله سبحانه وتعالى لم يعذب إلى أنه
كلما احترق جلود أهل النار بدلهم غيرها أكل من الممكن أن يعرف
كيف يستمر عذاب أهل النار بلا توقف وأن احسبهم بعد بـ ثم
لحقيقة العصاة تقول إن الأعصاب موحدة تحت الجلد
احترق الجلد فمن يحس بالإسسا بالآلم وهذا ما يجبه لنا القرآن الكريم
عن كيفية استمرار العذاب كان كفار يعاصون سيفوفين سبعين فترة
قصيرة حتى تحترق جلودهم ثم بعد ذلك لا يحس بأي عذاب أو ألم
ولكان هذا تشجيع للإسسا على الاستهانة بعذاب الله في الآخرة لأنه
لم يستمر بعد إلا فترة قصيرة يحترق فيها الجلد وتموت تحته
لأن الأعصاب ونسهي بعد بـ لوحد هناك تضام بين القرآن الكريم
و بحفوف لعمية هي أن الكفار سيحذون في عذاب جهنم وذلك هي
قوله سبحانه وتعالى

﴿ إِنَّ لَكُمْ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَبِيرُونَ ﴿٧١﴾ لَا يَصْرَعُهُمْ فِيهِمْ

فِيهِ مُشَوَّبٌ ﴿٧٢﴾

(الأيتان ٧١ و ٧٢ من سورة الزمر)

ولا يفتر معها لا يحفف فكيف يقول الله سبحانه وتعالى إن أهل
جهنم سيحذون في العذاب وأنه لن يحفف عنهم مع أنهم إذا

حترقت جلودهم فقدوا الإحساس بالعداب والألم ومن الذي أسخّر رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الحقيقة العممية حول الإحساس بالألم وهذا ما لم يعرفه البشر إلا حديثاً ألا يكفي هذا كدليل مادي على أن القرآن الكريم من عند الله ؟ ألا يكفي هذا أيضاً كدليل مادي على أن الذي خلق هو الذي قال ؟ وإن كان هذا قد دفع علم من أكره عماء علم التشريح وهو العرف بأسرار هذا العلم أن يعلن إسلامه أمام اناس في مؤتمر عام ، وقد بهره الإعجاز الإلهي ووجد دين مدبه الدليل لمادي على وجود الله مطلق بالشهادتين ألا يكفي هذا ليؤمن العالم كله ويؤمن أهل الأرض جميعاً ؟

الأصل الواحد للكون

ونحن نكتفي بهذا الجزء بالنسبة للإنسنة ذلك أننا نريد أن نتحدث عن آيات أخرى في كون بالنسبة لغير الإنسنة بالنسبة للكون نفسه ولأصل الواحد للكون

بقول الله سبحانه وتعالى

﴿ وَلَمْ يَرَأِ الْإِنْسَ كُفْرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَمَا سَارَتْ فَفَنَفَسَهُمَا وَحَفَسَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾

(الآية ٣٠ من سورة الأنبياء)

لقد عرّض معنى هذه الآية في مؤتمر الإعجاز القرآني في السعودية على الدكتور لفريد كزير ، وهو من أشهر عماء لعالم في لچيولوجيا وعندما قرأ المعنى أخذ يصيح مسنحين مستحيل أن تكون هذه

لحقائق قد ذكرت في أي كتاب منذ أربعة عشر قرناً. إن لم نصل إلى هذه الحقيقة العلمية إلا منذ سنوات. وبستخدام وسائل علمية متقدمة جداً وبعد دراست معقدة طويلة خاصة بعلم طبيعة النوية والأصغر الواحد ليكون لا يمكن أن يكون قد توصف إليه بشر منذ ألف وأربعمائة سنة. ولكن الوسائل العلمية الحديثة الآن هي وضع تستطيع أن تثبت ما قاله محمد منذ ألف وأربعمائة سنة.

ولعل جميع ما رتب ذكره نحرية صعود الإنسان إلى القمر وكيف كان العلماء يحسمون في إمام هذه الجربة بعناصر نادرة التي ستحدثها على سطح القمر ويسود لنى سيحصر فيها وكيف أنه سيكون فيها مواد شفى أمر ص لا يوجد لها دواء على الأرض ومواد صيفت لعاصر الأرض نجت عنها عناصر جديدة لم تعرفها البشرية وأحدث أحلامهم تردد عما سيصيفوه إلى الكرة الأرضية من عناصر غير موحدة واشتد الحال ومثلات الرؤوس بالاحلام

وجدوا على القمر لا إله إلا الله

ثم ما حدث ؟ صعد الإنسان إلى القمر ومشى فوق سطحه وجاء بحبات من الصخور التي على لسطح ومن الصخور الموجودة تحت اسطح وعدوا بها إلى الأرض وإذا بهم يكتشفون أن سطح القمر مكون من نفس عناصر سطح الأرض ، وأن صخور القمر في تركيباتها هي نفس صخور الأرض ونهما من أصل واحد

لم يكن هذا كفا كدليل على قوى لكى يؤمنوا ؟ ألم يكن إثبات بصرية لأصل لواح لسموات والأرض الذى أحضرنا لله به سبحانه

وتعالى في القرآن الكريم عدد أكثر من ألف وربعمئة سنة دليلا كافيا على وجوده تعالى وعلى به الخالق ؟ إن العالم الذي قال إن الوسائل العلمية الحديثة الآن في وضع تستطيع أن تثبت ما قاله محمد مد ألف وربعمئة سنة ، وهو البروفيسور ألفريد كروبر ، علم مزبور جدا حتى إنه كان يحاول أن يتهرب من إجابته لكننا سجد من هذا العلم قد أنزل من الله سبحانه وتعالى حتى به علم كرم قد له كقول (إن ما قاله محمد) فقال له سبب ذلك محمد لم يكن ينطق إلا بوحى من الله وأنه في عدد من الأحاديث النبوية عجز برجو أن تفسره له

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث روى أبو هريرة وجاء في البخاري ومسلم روى حديثا يفور في حراء منه لا تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروج وأنهار (أى مزارع وبساتين وأنهار) ولا سئل الدكتور كروبر هل كانت أرض العرب بساتين وأنهار كما روى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم فقل به حتى كان ذلك ؟ قال في لعصر الحيدى لأول لذي مر به لعالم في عصره الأولى

وسئل كروبر من رأى حمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الحقيقة ؟ قال نعم علم رب من البرهان الذين كانوا متقدمين في هذه العلوم فسألوه هل تعود بلاد العرب بساتين وأنهار مرة أخرى ؟ قال نعم هذه حقيقة علمية قالو كيف تقول على شيء سيقع في المستقبل أنه حقيقة علمية قال لأن العصر الحيدى انتهى بدأ ومن مقدمات ذلك الشتاء البارس والعواصف الثلجية لى بدأت ترحف على أوروبا في السنوات الأخيرة وكل شتاء سيأتى سيكون فسي من الذي قبله ، فكله

الجليد في القطب الشمالي بدأت تذحف ببطء نحو الجنوب . وهي في كل عام تقترب . ولكن ببطء جدا من المنطقة التي فيها بلاد العرب . عندما يزداد هذا الاقتراب بعد فترة طويلة من منطقة بلاد العرب ستعود بساتين وأنهارا

و، لعجب أنه حدث أن غمرت الثلوج بعض أراضي السعودية لأول مرة منذ قرون طويلة . وصلت درجة الحرارة في بعض هذه المناطق إلى عدة درجات تحت الصفر .

وعندما سئل الدكتور كروبر هل الروم هم الذين أخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن بلاد العرب ستعود بساتين وأنهارا ؟ قال لا يمكن أن يحدث ذلك إلا بوحى من السماء .

إعجاز .. يتلوه إعجاز

يُعود إلى الآية الكريمة ﴿ أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون ﴾ في هذه الآية أمطت لله سرا من أسرار الحياة وهو الماء

ولقد أصبح هذا حقيقة علمية يعترف بها العالم أجمع فصور الحديثة اتى تلتقط بالأقمار الصناعية وسفن الفضاء والكوكب القريبة من الأرض يستطيع لعلماء أن يتنبأوا إذا كن في هذه الكواكب حياة أم لا رغم أن هذه الصور لا تأتي بالتفاصيل الدقيقة التي تبين إذا كانت هناك مخلوقات موجودة على سطح هذه الكوكب أم لا

ويكن مجرد علمهم بأن الصور لا تدل على وجود الماء على سطح الكواكب فبهم يؤكدون أنه لا حياة فيه فإذا كن هناك ما يشير إلى ن

﴿ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ لَدَىٰ فُشْرَبُونِ ﴾ ﴿٦٨﴾ أَسْمُ آبِ السَّمِوَةِ مِنَ السَّمِوَةِ أَمْ مَعُ
الْعَبْرُونِ ﴿٦٩﴾ تَوَضَّاءُ حَقَّتْهُ أَجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾

إِنَّ الْمَاءَ هُوَ رِزْقٌ مِنْ أَسْمَاءِ قُدْرَةِ اللَّهِ وَكُلٌّ مِنْ يَدْعَى غَيْرَ ذَلِكَ بِصَالِيهِ أَوْ يَنْشِئُ لَنَا نَهْرًا صَغِيرًا وَسَطَ الصَّحَرَاءِ وَيَمْلَأُهُ بِمَاءٍ إِنْ كَانَ يَسْتَطِيعُ وَلَوْ يَسْتَطِيعُ وَلَكِنْ اعْتَرَفَ لِعَمِّ وَيَقِيهِ مِنْ أَنْ وَجُودَ الْمَاءِ مَعْنَاهُ وَجُودُ الْحَيَاةِ لَمْ يَلْعَنَهُمْ إِلَى مَا ذَكَرَهُ لِقَرْنٍ الْكَرِيمِ مَدَّ أَرْبَعَةَ عَشَرَ قُرُونًا وَكَانَ يَحِبُّ أَنْ يَلْتَفَتُوا إِلَى هَذَا الْإِعْدَادِ فَيُؤْمِنُوا بِاللَّهِ خَالِقًا وَمَوْجُودًا وَإِلَيْهِ وَحْدًا وَلِذَلِكَ يَقُولُ الْحَقُّ جَرَّ جَلَالَهُ ﴿أَهْلًا يُؤْمِنُونَ﴾

لقد قدم لهم لدليل الممدى فى الأصل الواحد للسموات والأرض ومن أن الماء هو سر الحياة غير لم يؤمنوا ، حينئذ يكون عدم إيمانهم مكابرة وعناد ويكون عذابهم فى جهنم عدلا من الله الذى أعطاهم لدليل تلو دليل ، ومع ذلك لا يؤمنون

وقبل أن يترك السماء وآيته لا بد أن يتحدث عن الإعصار في خلق السموات والأرض نحن ننظر إلى السماء ونبصر أشياءً ونشعر بأشياء

مثلا عندما عرض معنى الآية الكريم

﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا
قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾﴾

(الآية ١١ من سورة فصلت)

قرأ البروفيسور يوشيدى كوراي مدير مرصد طوكيو هذا الكلام وقال إن العلم لم يصل، لا مد فترة بسيطة جدا إلى أن السماء كانت دخان وقد أصبح هذا شيت مشهودا ومرئيا الآن بعد إطلاق سفن الفضاء والأقمار الصناعية وعرض صور انقطعت لنجم في السماء وهو يتكون . وقد بدا كتلة من الدخان في وسطها تكون جزء المصء من لنجم وحوله لدخان وتحيط بالدخان حافة حمراء دليل على ارتفاع درجة الحرارة .

وقال لقد كنا نعتقد منذ سنوات فقط أن السماء كانت صابا ولكنها عرفت الآن بعد التقدم العلمى بأنها ليست صابا ولكنها دخان لأن الصباب خامد وبارد و لدخان حار وفيه حركة وهذا يدل على أن السماء كانت دخانا وقال إننى متأثر جدا باكتشاف هذه الحقيقة فى القرآن

الحديد نزل من السماء

وإذ كنا نريد أن نضى فى التفاصيل ، ليقنع من لم يقتنع فإننا نستعرض بسرعة بعض ما قد أشهر علماء العلم فى مؤتمرات الإعجاز العلمى للقرآن الكريم الدكتور ستروج وهو من أشهر علماء وكالة ناسا الأمريكية للفضاء قال لقد أجرينا أبحاثا كثيرة على معادن الأرض

وأبحاثاً معمليه ، ولكن المعدن لوحد الذي يحير العلماء ، هو الحديد
هدرات الحديد لها تكوين مميز إن لالكسروبات والنيترودت فى ذرة
حديد نكى تتحد هى محتحة إلى طاقة هائلة تبلغ أربع مرات مجموع
الصاف الموحدة فى مجموعت الشمسية . ولذلك فلا يمكن أن يكون
الحديد قد تكون على الأرض ، ولابد أنه عنصر غريب وفد إلى الأرض ولم
ينكون فيها علم ترجموا له معنى الآية الكريمة

﴿ وَأَرْكَبَ الْحَدِيدَ فِيهِ نَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْعُهُ لِلنَّاسِ ﴾

(من الآية ٢٥ من سورة الحديد)

قال إن هذا الكلام لا يمكن أن يكون من كلام بشر
هذ تركب السماء وأسرره وبرلنا إلى أعماق البحار وجديا شيت
عجيبا ، إن الصور الحديثة التى لتقمت للبحار قد اثنت أن بحار ادنيا
ليست موحدة التكوين بل هى تختلف فى لحرره و اللوحة و الكثافة
ونسبة الاكسوجين وفى صورة النقاط ، الأقمار الصناعية ، ظهر كل
بحر سور مختلف عن البحر الآخر فبعضها أزرق فام ،
وبعضها أسود وبعضها أصفر وذلك بسبب حثلاف درجات لحررة فى
كل بحر عن الآخر وقد سقطت هذه الصورة بالحاصبه الحرارية
ويالأقمار الصناعية ومن سمن انصاء . وظهر حط أنيسر ربيع يفصل
بين كل بحر وأخر فإذا قرأت الآية الكريمة

﴿ مَرَجَ الْخَرْقَيْنِ الْبَاقِيَيْنِ ١٩ يَتَّبِعُهُمَا سُرَّحٌ لَا يَفْقِيَانِ ٢٠ ﴾

(الأيتان ١٩ و ٢٠ من سورة الرحمن)

جد أن وسائل ااعم الحديثة قد وصلت إلى تصوير لبحر من
البحرين وبينت معنى « لا يفقيان » بأن مده أى بحر حين تنحل إلى

البحر لاخر عن طريق الدزح فإبها تأخذ وقت دخولها خصائص البحر
الذى تدخل فيه فلا تبغى مياه بحر على مياه بحر آخر فتغيره

موج .. من فوقه موج

ولقد تم الوصول إلى هذه الحفنة بعد إقامة مئات من المحطات
البحرية وانتقاط الصور بالأقمار الصناعية والذى قال هذا الكلام هو
البروفيسور شرايدر ، وهو من أكره علماء بحار بالمانيا العربية كن
يقول إد ، تقدم العلم فلا بد أن يتراجع الدين لكنه عندما سمع معالى
آيات القرآن بهت وقال إن هذا لا يمكن أن يكون كلام بشر

ويأتى البروفيسور نورجروا أستاذ علم جيولوجيا البحار ليعطينا ما
وصل إليه اعلم فى قوله تعالى

﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لَّحِيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ
فَوْقِهِ سَحَابٌ طُلُوعُ نَعَصٍ فَوْقَ نَعَصٍ إِذَا أَخْرَجَ يَكْدُمُ لَمْرٌ
يَكْدُرُهَا وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُمْ نُورٌ ﴿١٠﴾ ﴾

(الآية ١٠ من سورة النور)

فبقول لقد كن الإسب فى الماضى لا يستطيع أن يفوس بدون
استخدام آلات أكثر من عشرين متر ولكن بعوض الآن فى أعماق
البحر بواسطة معدات الحديثة فجاء ظلاما شديدا على عمق مائتى
متر

الآلة الكريمة تقول ﴿ بحر لحي ﴾ كما عصت اكتشافات أعماق
البحار صورة لعنى قوله تعالى ﴿ طلعات بعصه فوق بعض ﴾ .

فالمعروف أن اللون لطيف سبعة منها الأحمر والأصفر والأزرق والأخضر والبرتقالي إلى آخره فإذا عصا في أعماق البحر تحققي هذه الألوان واحدا بعد الآخر واختفاء كل لون يعطى طبقة فالأحمر يختفي أولا ثم البرتقالي ثم لأصفر وآخر الألوان خضراء هو اللون الأزرق على عمق مئتي متر كل لون يختفي يعطى جزءا من لضمة حتى تصل إلى لضمة لكاملة أم قوله تعالى ﴿موج من فوقه موج﴾ فقد ثبت علميا أن هناك فصلا بين الخبز العميق من البحر والجزء العلوي وأن هذا الفاصل مليء بالأمواج فكان هناك أمواج على حافة الجزء العميق المظلم من البحر وهذه لا نراها وهناك أمواج على سطح البحر وهذه نراها فكانها موج من فوقه موج وهذه حقيقة علمية مؤكدة

ولذلك قل لرويسور دورجاروا عن هذه الآيات القرآنية إن هذا لا يمكن أن يكون علما بشريا

الجبـال .. والأوتاد

وإذا كانت العلوم الحديثة أكدت أن للبحال جسرا عميقة في الأرض وهو ما لم يكن معروفا على كثر الحرائط لعمرفية تظهر الجبال بلا جذور ممتدة داخل الأرض ولكن لصور لأخيرة التي التقطت لجبـال ظهر فيها أن لكل جبل وتد يقويه يسميه بعماء حذر وأن هذا الجدر يمتد إلى أعماق بعيدة وكلما طهر إعمار الآية لكريمة

﴿أَلَمْ تَجْعَلْ لِّلْأَرْضِ مِهْدًا ۖ وَلِجِبَالٍ أَوْتَادًا ۚ﴾

(الآية ٧ من سورة النبا)

ثم جاءت حقيقة أخرى في قوله تعالى

﴿لَمْ يَكُنِ الْأَرْضُ مِنْ شَيْءٍ وَكَانَ الْعَرْشُ لَدَىٰ آلِ الْإِزْدِجَادِ﴾

(الآية ١ من الآية الثانية من سورة الروم)

وقد فسرت أدنى على أساس أنها قريبة من أرض العرب فقد حدثت
المعركة قرب نيب المقدس وجاءت الخرنط الجيولوجية التي صورت
أحبارا بالأقمار الصناعية لتثبت أن المنطقة التي دارت فيها المعركة هي
أكثر الأماكن انخفاضاً على سطح الأرض لأن أدنى تعنى المكان
المنخفض

لقد أوردنا عدداً من الأساطير التي تمت في مؤتمرات الإحصاء العلمي
للقرآن الكريم والتي شارك فيها عدد من أكبر علماء لعالم في مختلف
فروع العلم من غير المؤمنين والذين شهدوا جميعاً أن الآيات القرآنية
التي قرئت عليهم معانيها لا يمكن أن تكون إلا من وحي إلهي ومن
خالق لهذا الكون نقول للذين جميعاً يكفي أن كل ما قلنا كأدلة علمية
على وجود الله كلها جاءت من أمواه الذين لا يؤمنون ، ورفضوا الإيمان
حتى بعد أن سمعوا هذا الإعجاز القرآني

إن كل ما أوردناه ليس محل بحث ولكنه قائم على المشاهدة والرؤية
وعلى صور عرضت وقدمت ولم يكن الدين قدّموا ، هذه الصور يهمهم
إثبات معصرات وآيات القرآن الكريم بل إن معظمهم كان يقول إذا
حاء العلم فيتراجع الدين وبعضهم عرض في أول الأمر في الاشتراك
في حوار يدخل فيه الدين

وإن كان الله سبحانه وتعالى قد استخدم غير المؤمنين في إثبات قصية
الإيمان فلا بد أن نعلم أن المؤمن والكافر كليهما يخدم قضية الإيمان
في الكون

الفصل السادس

وفي كل شيء دليل

لله سبحانه وتعالى جعل

لقرآن معجزة باقية إلى يوم

القيامة ولذلك وضع فيه

لدليل تلو الدليل على

ما يتحدى به غير المؤمنين

ليرد على ادعاءهم ولقد

قيل إن عصر المعجزات

انتهى .. ولكن معجزات

لقرآن لا تنتهي حتى تقوم

لساعة ومعاني الآيات لا

تتضح في عصر واحد

بن كل عصر يصل إلى معنى لم نكر قد وصل إليه القرآن معجزة
ومنهج المنهج وهو مارسمة الله لت كطريق للعبادة والحيمة تم تفسيره
وببانه كاملا في حية رسول الله صلى الله عليه وسلم . فالعبادات
والمعاملات وغيرهما فممتن متفعل ولا تفعل بينه رسول الله صلى الله
عليه وسلم

فانصلوات المفروضة فيه ممتن حمس لا تريد ولا تنقص إلى يوم القيامة
وكذلك الاحكام وكل ما يتعلق بمنهج لسماء كلها أشياء حسمت وبيئت
تماماً ولكن المعجزة هي القرآن لكريم هي لتي بقيت لتعطى كل جيل
معنى إجازيا لم يصل إليه الجيل الذي قبله

ولو أن معجزة القرآن توقفت عند النزل لجمد القرآن فم يعد يعطى
شيئاً حديداً ولكن لأن هذا الكتاب معجزة باقية متجددة فهو يعطى
لكل جيل عطاء جديداً وهكذا نجد في كل عصر عطاء للقرآن لم يكن
موجوداً في العصر الذي قبله

فإذا قرأنا مثلاً الآية الكريمة

﴿عَلَيْتِ الرُّومُ ۝ فِي آذَنِي الْأَرْضِ﴾

(الآية الثانية من سورة الروم)

وجدنا أن عطاء ﴿ دنى ﴾ حين نزل القرن كانت - كما قلنا - بمعنى
المكان لقرب أرض لعرب ولما تقدم لعلم واستطاع لإنسان أن يصور
سطح الأرض بالأقمار الصاعدة وجد أن مكان لمعركة بين الروم
والفرس هو أكثر الأماكن انخفاضاً على سطح الأرض وإذا قرأنا الآية
لكريمة

﴿ذَاتُمْ بِالْعُدُوِّ الدُّسَاوَهُم بِالْعُدُوِّ الْقُصَوِي وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾

(من الآية ٤٢ من سورة الأنفال)

نجد أن الله سبحانه وتعالى قد حدد ثلاثة موقع موقع المؤمنين وهم قريش إلى المدينة المنورة وموقع لكفار وهم بعيثون عن مكة المكرمة أي أن المؤمنين أقرب إلى مدينتهم وأهبلهم و لكفار بعيثون عن مدينتهم وأهبلهم ثم قال تعالى ﴿والركب أسفل منكم﴾

والركب هو قعدة أبو سفيان التي أفلتت من المؤمنين والمعروف أن أب سيفس لكي يفت ثقافته من المؤمنين غير مساره و تحذ طريق الساحل وهذا يجب أن تلتفت إلى قوله تعالى

﴿أسفل منكم﴾

أي موقع محقق عنكم

و المعروف أن ساحر البحر هو أكثر الامكن انخفاضاً في الأرض ولذا تقاس كل الارتفاعات بسطح البحر فبقول هذا المكان يعو ألف متر مثلاً عن سطح البحر أو مائة متر أو غير ذلك

من فسطح البحر لمقياس الذي اتجده لعالم كله ليساوي صفراً هي لارتفاع تقس عليه كل لارتفاعات في الدنيا وإدراك قوله تعالى ﴿أسفل منكم﴾ يلفت إلى هذه الحقيقة ولكن لقرآن الكريم لم يكتف بأن يبين هذا بل يبين لنا أن هناك بقعة على سطح الأرض هي أكثر النقع انخفاضاً على سطحها وهي التي درت فيها المعركة بين الروم والفرس

أصل العلم من الله

وإذا قرأت القرآن الكريم تجد أن الحق سبحانه وتعالى قد أفتنا إلى

مصدر لعلم للبشرية كلها فقال سبحانه وتعالى

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ
أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾

(من الآية ٢١ من سورة البقرة)

وهكذا حدد القرآن الكريم في إحصاء مدخل مدخل لعلم إلى لبشر
فأنت حين تريد أن تعلم صفك عندما يبدأ يميز الأشياء لا بد أن تعلمه
الأسماء أولاً فتقول له هـ كـ و هـ قـ لـ مـ وهذا كـ رـ سـ وهذا طـ عـ مـ
إلى آخر ذلك

ونحن إذا لم نعلم الطفل هذه الأسماء فإنه لا يستطيع أن يفهم شيئاً
ولكنه إذا تعلم الأسماء أصبح بعد ذلك قادراً على استيعاب العلم ولذلك
ففى الدنيا كلها وبالمسيرة للبشرية كلها لا بد أن يبدأ بنوع من أسماء
أسماء الأشياء ثم بعد ذلك نخفف بنوع التعيين من دولة إلى أخرى ومن
طريقة إلى أخرى ولكنها كلها لا بد أن يبدأ بتعليم الأسماء وهكذا
نعرف أن بداية العلم من الله سبحانه وتعالى

فقد بدأ الحق حر جلالة بتعليم الإنسان الأسماء وما زالت هذه
العبدية موجودة حتى الآن فى كل نظم التعليم الأسماء أولاً فإذا تعلم
لطف الأسماء بدأ يستوعب أى شئ حر ونحن لا نعلم الأطفال الأسماء
فى المدرسة فقط .

ولكن هذا هو علم الفطرة تدوّه لأم مع طفلها قبل أن يذهب إلى المدرسة و لأم المنعومة وتلك التي لم تتلق حضا من لتعليم كتأهف تبدأ بتعليم ابنها لأسماء لأن عم الفطرة تكون منه ابداية دائمة ثم بعد ذلك يتطور ويتبدل ولا يمكن أن يتم لتفاهم بين الأم وطفلها ولا بين طفل وطفل آخر لا إذا تعما الأسماء أولا و لعم في الدول المتقدمة والدول المتخلفة لاند أن يبدأ بالأسماء باعتبارها أساس التفاهم هي الحياة ولكن هناك عجائراً خر بالعم البشري لاند أن نالتعت إليه وهو يحمل ليند الدليل اللغوى على وجود الله

اللغة .. تدل على الوجود

فاسعة هي أساس لتفاهم بين البشر و لغة ليست بيئة ولا حضرة ولا جسد ولا لونا ولكنها نعتمد أساساً على السمع فإذا سمع لإنسان تكلم ، وإذا لم يسمع لا يتكلم ولذلك نجد دائماً أن الأصم الذي لا يسمع بكم لا ينطق فيقال دائماً لصم ولحكم .. لأن أساس الكلام هو السمع

ولكى نفهم هذه الحقيقة جيداً وهي أن اللغة لا علاقة لها إلا بالسمع نقول إننا إذا أتت بطفل عربى وأخذناه بعد ولادته إلى بريطانيا مثلاً بحيث لا يسمع إلا لغة الإنكليزية نجد أن هذا الطفل يتكلم الإنكليزية فإذا حاولت أن تتحدث معه باللغة العربية فإنه لا يفهمك مع أنه عربى لأصل من أب وأم عربيين ولكنه لا يستطيع أن يطق حرفاً واحداً من اللغة العربية لأنه لم يسمعها فإذا كنا بطفل إنكليزى وأخذناه إلى

بلاد العرب فإنه سيئشاً وهو يتكلم اللغة العربية . ولا يعرف حرفاً من الإنطيرية مع أنه من أصل إنجليزى . وقد أتينا بطفل هريقى وكررنا معه نفس التحربة فسنحصل على نفس النتيجة . إذن فاللغة لا علاقة لها بالأصل ولا باللون ولا بأى شئ آخر غير السماع .

وَدَمَ حِينَ خَلَقَهُ اللَّهُ وَخَلَقَ حَوَاءَ . لَدَى أَنَّهُ كَانَ بَيْنَهُمَا طَرِيقَةٌ لِلتَّعَاهُمِ وَإِلَّا كَيْفَ تَعَاهَمَا ؟

لا بد أنه كان بينهم لغة ما تعاهم بها . ثم جاء أولاد آدم فكان بين دم وحواء وأولادهما لغة لتعاهم سجلها . الله سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم فى قوله سبحانه

﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِم نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾
(الآية ٢٧ من سورة المائدة)

من لثابت يقين من القرآن الكريم أنه كانت هناك وسيلة للكلام بين آدم وأولاده . وإذا كنا قد أثبتنا بالدليل المادى أن الإنسان لا يمكن أن يتكلم إلا إذا كان قد سمع . وأن اللغة أساسها السماع . فلماذا أن آدم قد سمع حتى يستطيع أن يتكلم . فهذا قال لنا الله سبحانه وتعالى

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾

إذن فلماذا أن يكون آدم قد سمع الأسماء من الله سبحانه وتعالى . وبما أن السمع هو وسيلة اسطق للكلام . فكان سماع آدم للأسماء من الله هو الذى علمه للكلام . ندلين أن الله سبحانه وتعالى قال

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾﴾
 سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ
 ﴿٣٢﴾ قَالَ يَتَذَكَّرُ أُنْثَىٰ هُمْ بِأَسْمَاءِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ
 أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي آعْلَمُ سِرَّ الشَّجَرِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا
 تُبْذَرُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٣﴾﴾

(الآيات من ٢١ - ٢٢ من سورة البقرة)

أى أن دم تكلم ونسأ للملائكة بالاسماء لتنى علمها الله له وإن كان
 دم نطق ونكلم فليد أنه سمع من لله سبحانه وحواء سمعت من ادم
 فنكلمت وأولاد ادم وحواء سمعوا منهما فنكلموا

الكلام من السماع

هناك بعض الناس يقول إن الإنسان الأول لم يكن يتكلم ، وإنما كان
 يفاهم بالإشارة ثم بعد ذلك تكلم وتقوى إن هذا غير صحيح لأن
 أى إنسان لكي يتكلم لابد أن يسمع أولاً فمعنى سمع أوى إنسان تكلم
 سواء كان ادم أو من بعده ؟ إن الكلام لا يأتى إلا بالسماع والذين
 يفاهمون بالإشارة يظلون طواى حيتهم يفاهمون بنفس الأسلوب ، إلا
 أن سمعوا من غيرهم حينئذ تبدأ عندهم معه الكلام ولصم والنكم
 الذين يعالجون من هذا لاء إن لم يسمعوا فمن يتكلمو

فإذا قل أحدهم إن الشر محدث من لغات مختلفة ولهجات مختلفة
 يقول إن هذا دليل لنا وليس علي أن اللغة مصدرها السيئة وليس لجس

أو اللون أو أى شئ آخر . ومن الكلام ليس صفة وراثية نولد مع الإنسان ولكنها صفة سمعية فلاند من السمع أولاً وهكذا تعطينا القرائن كلها أن الله سبحانه وتعالى هو الذى عم البشرية الكلام بأن علم ، دم الأسماء . ولا يمكن أن تكون هناك بداية - علماً ولا عقلاً - إلا هذه البداية التى ذكرها الله سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم

لفظ الجلالة وإعجاز التحدى

وإن كنا نريد أن نمضى فى هذا الإعجاز فنامنا مجالات كثيرة لفظ الجلالة ، كلمة « الله » سبحانه وتعالى من أين جاءت ؟ إن الثابت لعويا أن المعنى لابد أن يوجد أولاً ثم يوحد لفظاً أو الاسم فإذا لم يوحد المعنى لا يوجد اللفظ فى اللغة . وكل الاختراعات الحديثة التى لم تكن البشرية تعرف عنها شيئاً لم توجد لها أسماء ، لا بعد أن وجدت وعرفوها . وإنكار لا يستطيع أن يفهم الكلام إلا إذا كان المعنى موجوداً فى عقله . ولذلك فإن الجامع اللغوية فى العالم تصنف كل فترة ألفاظاً لمعان لم تكن موجودة ثم وجدت . فكأن لابد أن توجد لها اللفظ تعبر عنها ،

وعلى أية حال فإن العقل البشرى يعجز عن فهم أى لفظ إن ، لم يوجد فى عقول المعنى أولاً . حتى أنك إذا حدثت أى إنسان بلفظ لا يفهمه فلابد أن يعرف المعنى أولاً ثم بعد ذلك يفهم اللفظ . ولكن الله سبحانه وتعالى عيب عد . لم يره أحد . ومع ذلك فإن لفظ الجلالة موجود فى كل لغات العالم . ولعقول كلها تفهمه . فكيف يمكن أن يحدث هذا ؟ إلا إن ، كان فى داخل الإيمان الفطرى الذى يعرفنا معنى لفظ الجلالة

وهذا تنأتى الآية الكريمة لتسير لنا هذ الإعجاز فيقول الله سبحانه
وتعالى

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنْ بُنَىٰ آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ
عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا ۚ﴾

(الآية ١٨ من سورة آل عمران)

إذن علاند أن الله قد اشهدد على نفسه ، وعندما ذكر لفظ لجلالة
فهمناه ولاند أنه سبحانه وتعالى أشهد البشرىة كلها لأنه لا توجد لغة
فى لعالم ليس فيها لفظ الللالة بل إن اتحدى والإعجاز الإلهى يمضى
أكثر من ذلك فيقول لله سبحانه وتعالى فى كتبه الكريم

﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ ۚ﴾

(الآية ٦٥ من سورة مريم)

وهكذا أخبرنا الحق سبحانه وتعالى أن لفظ لجلالة لن يطلق على أحد
غير ذاته الكريمة وهكذا تحدى الله لبشرىة كلها فى أمر اختيارى
فالاسم هو شىء من احتسار الإنسان ويوجد فى هذا لكون الكفرة
والمحسنون وشيطنين لإنس وغيرهم فهل سمعت عن واحد سمنى نفسه
الله ؟ أو اسمنى اسم الله ؟ لم يحدث ومن يحدث لأن الحق سبحانه
وتعالى احتص بهد الاسم ذاته الكريمة فلا يمكن لبشر أن يتخطى
مراد الله لنطلق لفظ لجلالة على نفسه أو أحد أولاده بل إن الدين ادعى
الالوهية مثل فرعون وغيره وبصنوا أنفسهم إلهة يعدون من دون الله
لم يحروا واحد منهم ولم يحصر على به أنه أن يسمى نفسه الله

وهكذا، جاء التحدى لبشر جميعاً فى أمر اختبرى ليؤكد الدنيا كلها
أن أحداً لا يستطيع أن يحالف مردت الله فى كونه ولو كانت هذه
بمخالفة على منصفة الاختيار للإنسان ، ولو كانت هذه المخالفة من محد
محارب لدين الله يريد الاضلال فى الأرض . أيجاد دليل ماضى أكبر من
هذا ؟

التعداد دليل مع القرآن

فإذا تركنا الأدلة اللغوية فإننا نجد هناك دليلاً إحصائياً على وجود
الحق سبحانه وتعالى . هل له سبحانه وتعالى يقول

﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ
لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَعَالِمٌ

(الآية ١٢ من سورة الحجرات)

الحق سبحانه وتعالى يحبرن أن الحق بدأ من ذكر وأنثى وهما آدم
وحواء . ثم جاء منهما كل هذا الحق الذى نراه . الدليل الإيماني على
ذلك أن الله هو الذى قال . والدليل المادى على ذلك هو أن علم ، لاحتفاء
يقول ذلك . فإذا تتبعنا البشر على الكون نجد أن تعداد الناس فى العالم
اليوم يصل إلى كذا مليون نسمة .

فإذا عرصد مثلاً أن تعداد سكان العالم اليوم خمسة آلاف مليون
فكم كن عدد سكان العالم منذ قرن مضى ؟ . سجد أن تعدادهم كان
أقل . مثلاً أربعة آلاف مليون ومئة ثلاثة قرون مثلاً كم كن عدد سكان
العالم ؟ طبعاً كانوا أقل

ومنذ عشرين قرناً من الزمن كم كان عدد سكان لعالم ؟ نقول
إبهم كابو بضعة ملايين ومنذ ثلاثين قرب من لزمان كم كان عدد
سكان العالم ؟ نقول كسبو مسوين و ثلاثة ،، إذأ كلما عدنا بالزمن
إلى الوراء نجد أن عدد لبشرية يتناقص وكلما تقدم بالزمن نجد أن
عدد لبشرية يتر يد أليست هذه حقيقة إحصائية ؟

أستطيع أحد من الماديين أو غير المؤمنين أن ينكر أنه كلما عدنا
بالزمن إلى الوراء فإن عدد البشر يتناقص ؟ وإد كنت هذه هي
لقاعدة المعترف بها فمعنى ذلك أنه كلما عدنا إلى الماضي تناقص عدد
البشر ويظل عدد البشر يتناقص وينقص حتى نصل إلى نقطة لبداية
لتي بدأت عندها حياة البشر فتكون هذه النقطة من ذكر وأنثى ،

من التناقص في عدد البشرية لدى عرفده وسجناه بالاحصاءات
لاند أن ينتهي إلى لبداية لتي بدأ منها تكاثر هذ الخلق وهم لذكر
و لأنثى وكما مر لزمنا زانب أسد البشري حتى وصلنا إلى تعداد
العالم الآن

هو أن تعداد البشر كان يتناقص مع الزمن أي أن الدنيا بدأت
بألف مليون إنسان و انتهت في عصرنا هذا بمائة مليون لكان ذلك يؤكد
لنا أنه من المستحيل أن يكون لبشرية قد بدأت بذكر وأنثى لأن لادليل
اعلمى سيكون في هذه بحالة شهدأ على أن ذلك لا يمكن أن يحدث

ولكن كون البشر يتزايد عندهم مع مرور الزمن ويتناقص عندهم كلما
عدنا إلى الوراء في الماضي حتى أنه في العصور الأولى لم تكن إلا
أحزء صغيرة من الأرض يعيش فيها الناس ولدى لا يوجد فيه أحد
فهذا يعطينا الدليل على أن البداية كانت من ذكر وأنثى

معجزة جيش أبرهة

مبدا ذهنا إلى التاريخ فنحن نجد فيه الدليل لمدى على وجود الله
سبحته وتعالى وعلى عظمه وعلى معجزاته أقرا قوله تعالى في هذه
السورة الكريمة .. سورة الفيل

﴿الَّذِي كَفَّيَ فَعْلَ رُثْكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ الَّذِي جَعَلَ كِذَّهُمْ
فِي تَصْلٰى ﴿٢﴾ وَرَّسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْسِيهِمْ
بِحِجَاكِ قَوْمٍ سَاجِدٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾﴾

(سورة الفيل)

هذه معجزة لم يأت بها رسول ولم تنزل للتثبيت للإيمان على قوم نبي
كان يدعو قومه للإيمان وهم لا يؤمنون ولكنها حدثت لإثبات لقدسية
والحماية لعنت الله الحرام

ولقد ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم في عام الفيل وكانت هذه
المعجزة علامة على أن دين الله الذي سينزل على هذا الرسول إذا تخلى
عنه ، لبشر جميعاً حين الله جل جلاله سيحميه ويحفظه

والقصة معروفة وبطنها ملك الحبشة في ذلك الوقت أبرهة الذي بنى
بيتاً ليحج إليه السرا من الكعبة وجاء بعض لأعراب وألقوا فيه
قذورات ، فصمم أبرهة أن ينتقم بهدم الكعبة ، وأخذ جيشاً ضخماً
وعدها كبيراً من الأفيال وذهب إلى مكة فلما رأى أهل مكة هذا الجيش
هربوا وفروا فجاء الطير وألقى عليهم بحجارة من جهنم قضت على
أبرهة وجيشه وأفياله في دقائق.

القصة يرفض تصديقها العقل غير المؤمن ، إذ كيف يمكن لطير صغير أن يقضى على جيش من الأفيال بينما لو وقفت مئات من الطير على جسد فيل واحد لا يحس بها ، ولقد توقف بعض العلماء عند هذه لسورة الكريمة فقالوا إن الله أرسل جراثيم لتقضى على أبرهة وحشيه ، وكأنهم يريدون أن يسهوا الأمر على الله ، مع أن الله على كل شيء قدير نقول لقد ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم في عام الفيل وبعث في الأربعين ونزلت هذه السورة في مكة في بداية الدعوة الإسلامية وكان الكفرهم اقوة والهره والمسلمون هم لقله والضعف وكن الكفار يبحثون عن أى شئ للطعن فى الدين لإسلامى

نقول ، إن هذه لسورة نزلت في مكة والرسول صلى الله عليه وسلم كلمه الله بالرسالة وعمره أربعون سنة أى أن هناك من أهل مكة من كان يسبح الخامسة والخمسين ولستين والخمسة والستين والسبعين وهم قد شهدوا هذه المعجزة ورأوا رؤية العير ولو أن الطير لم تأت وجيش أبرهة لم يتم إقذره فى لحطت لقال هؤلاء الناس إن هذا الكلام غير صحيح وإقذ كذا موجودين فى مكة فى هذا الوقت ولم نر طيرا جاءت ولا جيش أسى ولطعنوا بذلك فى الإسلام وفى القرن وفى أنه كلام الله ولكن كور الطير جاء وكون المعجزة تمت لم يجزؤ أحد من أعداء الإسلام أن يطعن فيه.

وهكذا يعطينا الحق سبحانه وتعالى دليلا من التاريخ لمعجزة مشهودة حدثت ، ويعطينا معها الدليل على صدق حدوثها ، فإذا أضفت إلى ذلك ما ذكرناه سابقاً عن قوله تعالى :

﴿ أَلَمْ غَلَبَتِ الرُّومُ فِي أُنْثَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴾

لوجدت دليلاً تاريخياً آخر ثم يأتي بعد ذلك دليل ثالث يضيف إلى

هذه الأدلة التاريخية

شهادة التاريخ

لاحظ أن الحق سبحانه وتعالى عندما يذكر في القرآن الكريم شيئاً عن حاكم مصر في عصر موسى عليه السلام كان يسميه فرعون أي أن الدين حكموا مصر أطلق عليهم القرآن اسم الفراعنة ، فيقول تعالى

﴿ قُلْ كَفَّوْا أَلْسِنَ إِلَىٰ مُلْكِ مِصْرَ وَهَٰكِيهِ أَلَأَنَّهُمْ يَخْرَىٰ مِنْ
تَحْتِي أَفَلَا تُصِیْرُونَ ﴾ (٥١)

(الآية ٥١ من سورة الزخرف)

وهذا يتفق مع التاريخ في أن الدين حكموا مصر في العصور القديمة هم الفراعنة إذن حكام مصر القدامى فراعنة وانقرآن سماهم فراعنة فقد أتيت في سورة يوسف عليه السلام وحداً أن الله سبحانه وتعالى، وهو يروي لنا في القرآن الكريم قصة يوسف في مصر لم يلقب حاكم مصر بفرعون بل لقبه بمالك فقال تعالى

﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤَيِّي بِهِ أَسْتَحْيِيضُهُ لَيْسَىٰ ﴾

(الآية ٥٤ من سورة يوسف)

وقوله تعالى

﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ ﴾

(من الآية ٤٢ من سورة يوسف)

إذن حدثت من القرآن الكريم أن يوسف عاش في مصر وأنه حلال وجوده في مصر خلت في القرآن الكريم اسم حاكم مصر فلم يكن

يقب فرعون بل لقب باسم الملك ويمضى الزمن ويكتشف ححر رشيد
ثم تحل رموز اللغة المصرية اقدمية ويثبت أن يوسف عليه السلام عاش
فى مصر فى العترة التى حثلها فيها الهكسوس وأن هؤلاء هم يكوون
من لفرعته وأن حاكمهم كان يطبق عليه اسم المست ولم يكن يطلق
عليه اسم فرعون وأن المصريين طردوا الهكسوس وعاد الفراعنة إلى
لحكم مرة أخرى من الذى أبى محمد عليه الصلاة والسلام بهذه
الحقائق التاريخية التى لم يعرفها لعالم إلا فى العترة لأخرة بعد
اكتشاف ححر رشيد^{١٩} وكيف علم أن يوسف كان فى عهد الهكسوس
وأن موسى كان فى عهد الفراعنة

وهكذا يبني الحق سبحانه وتعالى إلا أن يعطين دليل المدي
التاريخى على عصر هذا لقرآن وعى أن الله يعلم ما فى لدنا
والآخرة وأنه كل شىء علم وحتى يظهر ذلك لعباده وبالدليل المدي
جاء بحقيقة تاريخية لم يكن يعلمها أحد من البشر وقت نزول لقرآن
ويذكره فى كتابه العزيز حتى إذا تقدم الزمن وكشف لله لخلق ما شاء
من علمه ظهرت لهم هذه لحقيقة لتكوين عطاء وعمار حديد للقرن
الكرام فى الوقت الذى تظهر فيه هذه الحقيقة وتخرج إلى علم البشر
حتى تكون معبرة من معجزات القرن يصهرها الله بعد نزول لقرن
الكرام بقرون عديدة

على أن الله سبحانه تعالى قد أعطى من أسرار ملكه ما شاء لمن يشاء
وكشف مما شاء من عبه لمن شاء ولكنه احتفظ لنفسه بعباء الحياء
أو لخلق ويعوامل اسنمر الحياء وسهية الحبة وهى المرات فمهما
تقدم العلم وازدهر وكشف الله من أسرار كونه فبين الله هو لدى

يحيى ويميت وسيظل يحيى ويميت إني أن تأتي الأخرة ويتم الحساب
وتقبض روح ملك الموت فلا يصح هناك موت ولكن خلود إما هي
الجنة وإما هي النار

الحياة .. والموت من الله

تأمل قول الحق سبحانه وتعالى في سورة الشعراء

﴿الَّذِي خَلَقَ لَهُمْ هَدِيدًا ۖ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُهُ وَيَسْقِيهِ ۖ وَإِنَّا مَرِضْتُمْ
فَهُوَ شَافِي ۖ وَالَّذِي يُعِثُّ لَكُمْ فِي يَوْمِ نَحْسٍ ۖ﴾

(الآيات من ٧٨ - ٨١ من سورة الشعراء)

وإد أردنا أن نتأمل ما جاء في هذه الآيات - ونستعرض الإعجاز فيها
ببرهان - نجد أن قضية الخلق محسومة له سبحانه وتعالى فهو وحده
الخالق والكل عاجز ولا أحد يستطيع أن يدعى "به يقدر على خلق شيء"
ولكن قضية الموت فيها جدل .. فإذا قرأت قوله تعالى

﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّىْ أَلَيْسَ لىْ عِشَى ۖ وَيُحْيِىْ ۖ قَالَ أَأَبْأَتُكَ ۖ وَأُمِّيْتُ ۖ﴾

(من الآية ٢٥٨ من سورة البقرة)

والآية تروى قصة الحور بين من آده الله الميث وبراهيم عليه السلام
فما قل به إبراهيم ربي يحيى ويميت أخذت من آده الله أمي العرة
فقال أنا يحيى وأميي وجاء برحل من رعيته، فحكم عليه بالإعدام
وقال هو ميي ثم عف عنه وقال "حييته" بقول إن الناس لا تتننه
لفرق بين أنقتل والموت - ماقتل هو إفساد لجسد الإنسان بحسن الجسد
غير صالح لنقاء لروح فيه فتعديده، ولكن الموت هو إخراج لروح من
الجسد دون هدم أو إفساد للجسد - وبذلك فرق الله بين الاثنين في القرآن

لكريم فقال

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾

(الآية ١٤٤ من سورة آل عمران)

وقد حر جلاله

﴿وَلَيْسَ مِثْمَ أَوْ قُتِلْتُمْ إِلَّا لِي اللَّهُ تَحْشُرُون﴾

(الآية ١٥٨ من سورة آل عمران)

إس الموت لك وحده ، هو الذي بميت ، ولكن القتل - وهو غير الموت - يمكن أن يتم على يد عباد الله

ولأن الله هو الذي بميت فلا أحد ينجو من الموت أبد ، لأن أمر الله باعد عى كل خلقه ، ولأن الإنسان يمكن أن يتم على يده لقتل ههك من سحو من لقتل مرة ومرت ، لأن امر الإنسان غير باهذ فى الكون ثم تقول الآية الكريمة ﴿والذى هو يطعمنى ويسقنى﴾.

ويلاحظ فى لاية لأولى أن الحق سبحانه وتعالى لم يستخدم أسلوب لتأكيد مقال ﴿الذى خلقنى﴾ ولم يقل هو الذى خلقنى لأنه لا أحد يدزع لله فى الحق ولكن لظعم ولشرب جعلهما الله سبباً للإنسان فجاء التأكيد ها ليلفت إلى أن هذه لأسباب ليست هى الأص - وإنما كل شىء من الله - فالحجة فى أى نبت حقه الله سبحانه وتعالى ووضع فيها خصائصها - وحرر فيها لعداء الذى يلزمها حتى تستطيع حذورها أن تضرب هى لأرض لأحد منها عاصر الحياة - وهو الذى أعصاها خصائصها - وخلق لها الأرض لتزرع فيها - وأنت تصع لحة فى

الأرض فتظل تتغذى على المخزون فيها من الغذاء الذى وجد فيها بقدرة الله .. ثم بعد ذلك تمتص من عناصر الأرض ما يلزمها فقط وتترك الباقي ثم تظل تنمو وتثمر حتى تثمر بقدرة الله وليس بجهد بشر .. فكأن الطعام كله من الله سبحانه وتعالى .

والشباب أيضاً من الله

فإذا جئنا للشباب نجد أن كل ما يشربه الإنسان هو من الله سبحانه وتعالى .. فالماء ينزل من السماء عذباً سائغاً بقدرة الله .. واللبن نأخذه من الحيوان وهو مخلوق بقدرة الله .

ولقد حاول العلم أن يصنع اللبن فجاء باللبن الطبيعى وحلله إلى عناصره .. ثم جاء بهذه العناصر وخلطها مع بعضها البعض بنفس النسب الموجودة فى اللبن الطبيعى .. ثم جاء بعشرين فأراً سقى عشرة منها اللبن الطبيعى .. والعشرة الباقية سقاها اللبن المصنوع من نفس عناصر اللبن الطبيعى .. فنمت الفئران التى سقيت اللبن الطبيعى وماتت الفئران التى أعطيت اللبن الصناعى .

وما زال العلم حتى الآن عاجزاً عن أن يصنع نقطة لبن واحدة .. بل إن بعض دول العالم التى تعاني نقصاً شديداً فى اللبن ، لا تستطيع أن تحل الأزمة .. فتحرم اللبن على الكبار ليكون متوفراً للأطفال .. ومنها الاتحاد السوفيتى والصين وكوريا الجنوبية وغيرها من دول العالم .. ومن الإعجاز الإلهى أن هذا اللبن تعطيه لنا حيوانات يجرى فى عروقها الدم ... فلا يختلط اللبن والدم أبداً .. وفى ذلك يقول الحق سبحانه وتعالى :

﴿نُفِيقُكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِمْ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَنَا خَالِصًا يَفْعَالُ الشَّارِبِينَ﴾

(الآية ٦٦ من سورة النحل)

على أن العلم البشري كله عاجز حتى الآن عن أن يسقي الناس الماء أو اللبن.. فالإنسان الذي وصل إلى القمر عاجز عن أن يصنع ترعة صغيرة.. أو كوباً من اللبن.. أما باقي الأشياء الأخرى التي يشربها الإنسان فهي مما أوجدها فيها من ثمر يضاف إليها الماء أو لا يضاف.

الشفاء والمرض بين القدرة والطب

فإذا جئنا إلى قوله تعالى: ﴿وإذا مرضت فهو يشفين﴾.

نجد أن هناك جدلاً كثيراً حول هذه الآية.. فالناس تقول إن الطبيب هو الذي يشفي، ولكن الحقيقة هي أن الشفاء بيد الله وحده.. وأن الطبيب يعالج فقط.. وقد يأتي على يده الشفاء.. وقد يخطئ في العلاج فيكون على يده الموت.

والله سبحانه وتعالى جعل لكل داء أجلاً في الشفاء.. ولذلك يحدث كثيراً أن طبيباً مبتدئاً يكتب الدواء الصحيح لمريض عرض نفسه على أكبر الأطباء فلم يعرفوا لدائه دواء وفي هذه الحالة قد يتعجب الناس ويقولون: إن هذا الطبيب حديث التخرج أعلم من أساتذته، نقول لهم: هذا تفسير خاطئ، فالاستاذ قطعاً أعلم من تلميذه، وهو الذي علمه.. ولكن قدر الله سبحانه وتعالى بالشفاء جاء فكشف الله عن الداء لهذا الطبيب المبتدئ.. فكتب الدواء وتم الشفاء.

وليس معنى أن الله هو الشافى ألا نلتمس الوسيلة للعلاج . فنحن فى هذه الدنيا أمرنا الحق سبحانه وتعالى أن نأخذ بالأسباب.. ثم بعد ذلك نتوكل على الله فى النتائج.

والآية الكريمة تقول بعد ذلك : ﴿والذى يميتنى ثم يحيينى﴾.

ونلاحظ هنا أن الحق سبحانه وتعالى لم يستخدم أسلوب التأكيد فيقول : وهو الذى يميتنى ثم يحيينى .. لأنه لا أحد يستطيع أن ينازع الله فى الموت أو البعث .. فإذا جاء الموت فلا أحد يستطيع أن يتأبى عليه .. أو يقول : لن أموت .. وإذا جاء البعث ، فالله وحده القادر على بعث الموتى .. وبذلك نكون قد أثبتنا بالدليل المادى أن بداية الحياة واستمرار الحياة ونهاية الحياة .. هى من قدرات الله سبحانه وتعالى وحده.

وإذا كنا قد جئنا إلى نهاية هذا الكتاب .. فنرجو من الله سبحانه وتعالى أن يكون قد هدانا إلى ما يثبت الإيمان فى القلوب . ومايرد على أولئك الملحدين الذين يدعون أنه لا توجد أدلة مادية فى الكون على وجود الله.. ونرجو من الحق جل جلاله أن يتقبل منا .. إنه هو السميع العليم.

الفهرس

الصفحة

| | |
|----------|---------------------------------------|
| ٣..... | الفصل الأول : أسباب الوجود |
| ٢٥..... | الفصل الثاني : وفي أنفسكم أفلا تبصرون |
| ٤٧..... | الفصل الثالث : الدليل الغيبي |
| ٦٩..... | الفصل الرابع : وفي الأرض آيات |
| ٩٣..... | الفصل الخامس : الأدلة المادية |
| ١١٥..... | الفصل السادس : وفي كل شيء دليل |